التقدمي

نشرة شهرية يصدرها المنبر التقدمي ـ مملكة البحرين SDPA 499 العدد 225 السنة 24 ـ نوفمبر 2026

سعر البنزين يضغط على المواطنين

التقدمي يؤين المناضلين محمد نصر الله والسيد جعفر الوداعي

موقفنا

الخليج ونذر الحرب

تقف منطقتنا الخليجية أمام مرحلة دقيقة في ظل تصاعد التوترات الإقليمية وتزايد احتمالات المواجهة العسكرية. ولا تكمن الخطورة في احتمال اندلاع حرب فقط، بل في اتساع نطاقها وصعوبة احتواء تداعياتها، حتى بالنسبة إلى الدول التي لا تشارك فيها مباشرة، فقد يقود خطأ في التقدير إلى مواجهة تتجاوز أهداف أطرافها، وتفرض على المنطقة بأسرها أثماناً لم تختر دفعها.

تنبع حساسية الخليج العربي من موقعه في معادلة الطاقة والتجارة العالمية، ومن ارتباط أمنه باستقرار الممرات البحرية والمنشآت الحيوية وشبكات الإمداد. وأي اضطراب واسع في هذه المنظومة قد يرفع تكاليف النقل والتأمين، ويؤثر في أسعار الطاقة والاستثمارات، ويزيد الضغوط على الاقتصادات والأسواق، فتتحول الحرب إلى تهديد مباشر للتنمية ومستويات المعيشة والاستقرار الاجتماعي.

أمام هذه المخاطر، لا يصح أن تنحصر مقاربة دول الخليج في الاستعداد العسكري، على ضرورته، فحماية الأمن الوطني تشمل أيضاً تحصين المنشآت الحيوية، وضمان استمرارية إمدادات الماء والغذاء والطاقة، ورفع جاهزية الخدمات الصحية والمدنية، وتعزيز أمن الاتصالات والمعلومات، كما تتطلب إدارة مسؤولة للمخاطر الاقتصادية، بما يقلل تعرض الأسواق والاستثمارات للصدمات.

على أهمية كل ذلك، تبرز ضرورة تحرك خليجي منسق يضع منع الحرب في صدارة الأولويات، ويستخدم القنوات الدبلوماسية والوساطات المتاحة لخفض التوتر، مع التمسك بسيادة الدول ومصالحها المشروعة. فالتنسيق بين دول مجلس التعاون يجب أن يمتد إلى بلورة مواقف سياسية واضحة، وتوحيد الرسائل الداعية إلى ضبط النفس، وتعزيز فرص التسوية، ففي أوقات الأزمات، يصبح تماسك الموقف الخليجي عاملاً من عوامل حماية القرار الوطني، لا مجرد تعبير عن التضامن.

وتتحمل القوى الدولية بدورها مسؤولية مباشرة عن منع تحول الخليج إلى ساحة لتصفية الحسابات. فحرية الملاحة وأمن الطاقة مصلحتان دوليتان، لكن حمايتهما لا تتحقق بالتصعيد غير المحسوب أو بتوسيع دائرة الاستقطاب، وإنما بتغليب الحلول السياسية واحترام القانون الدولي.

أي ترتيب أمني مستدام سيظل ناقصاً ما لم يفتح المجال لحوار إقليمي جاد يعالج مصادر التوتر، ويؤسس لقواعد واضحة بشأن احترام السيادة وعدم استهداف المدنيين والمنشآت المدنية وتسوية النزاعات بالوسائل السلمية، بما يسهم في توسيع فرص الحوار وصون أمن الشعوب ومكتسباتها.

التقدمي

الـذكــرى الأربعـــون
لاستشهاد المناضل الدكتور هاشم العلوي

مرّت في الثامن عشر من سبتمبر هذا العام الذكرى الأربعون لاستشهاد المناضل الرفيق الدكتور هاشم إسماعيل العلوي في عام ١٩٨٦، حيث اعتقل ضمن حملة قمعية طالت العشرات من كوادر وأعضاء جبهة التحرير الوطني البحرانية واتحاد الشباب الديمقراطي البحراني «أشدب».

وجاءت حملة الاعتقالات على إثر توزيع العديد من المنشورات والبيانات الداعية إلى إعادة الديمقراطية والحريات العامة بعد حل المجلس الوطني في عام 1975، وغيرها من المطالب، بعد أن ساد في البلاد آنذاك قانون أمن الدولة ومحكمة تدابير أمن الدولة، حيث جرت محاكم لمناضلي جبهة التحرير الوطني في تلك السنوات وصدرت أحكام جائرة ضدهم.

وفي الذكرى الأربعين لاستشهاد الرفيق هاشم، وجرياً على عادة سنوية زارت مجموعة من الرفيقات والرفاق قبر الشهيد ووضعت اكاليل من الورود على قبره وفاء لذكراه واستذكاراً لتلك التضحيات والنضالات من أجل الوطن والشعب.

التقدمي ينعي محمد سلمان حماد عضو «كتلة الشعب» البرلمانية

رحل المحامي والنائب السابق محمد سلمان حماد، في 6 أكتوبر 2026، بعد مسيرة جمعت بين المحاماة والعمل الوطني والبرلماني، حيث كان أحد أعضاء «كتلة الشعب» في المجلس الوطني المنتخب عام 1973، ومن المساهمين في تأسيس العمل المهني للمحامين في البحرين.

بدأت مسيرته القانونية عقب تخرجه من كلية الحقوق بجامعة بغداد عام 1968، بحسب شهادة زميله المحامي عباس هلال، الذي استذكر دوره في الدفاع في عدد من القضايا السياسية والصحفية خلال السبعينات، ومشاركته في العمل التشريعي عبر لجنة الشؤون التشريعية والقانونية بالمجلس الوطني.

وفي انتخابات عام 1973، فاز حماد بعضوية المجلس عن الدائرة الثالثة التي شملت منطقة النعيم، بحصوله على 288 صوتاً، بعد منافسة مع أربعة مرشحين، ليشارك في التجربة البرلمانية الأولى التي شهدتها البحرين بعد الاستقلال.

وامتد نشاطه النيابي إلى قضايا الأراضي والثروة العامة؛ إذ شارك، إلى جانب نواب من «كتلة الشعب»، في تقديم مقترح لحماية الأراضي وتنظيم التصرف فيها، عُرض على المجلس في مايو 1974. وتناول المقترح تخطيط استخدامات الأراضي، وحماية الأراضي الحكومية، وتنظيم أسعارها والحد من المضاربة عليها.

كما ورد اسمه ضمن التحركات النيابية المطالبة بإلغاء مرسوم تدابير أمن الدولة عام 1975، في مرحلة شهدت سجالاً سياسياً ودستورياً حول الحريات العامة وصلاحيات السلطة.

وبموازاة نشاطه البرلماني، أسهم حماد في تنظيم مهنة المحاماة؛ فكان، بحسب شهادة هلال، من مؤسسي نقابة المحامين عام 1974، ثم شارك في تأسيس جمعية المحامين البحرينية عام 1977، التي يدرج موقعها الرسمي اسمه ضمن مؤسسيها.

"التقدمي" ينعى الفقيد ويستذكر إسهاماته

ونعى المنبر التقدمي الفقيد، مستذكراً إسهاماته في التجربة البرلمانية الأولى في البحرين، ودوره في تأسيس العمل المهني المنظم في مهنة المحاماة.

وقال التقدمي، في بيان نعي، إن الراحل كان من الوجوه الوطنية التي أسهمت في العمل البرلماني والدفاع عن قضايا المجتمع، ضمن جيل حمل تطلعات شعب البحرين نحو الديمقراطية والعدالة الاجتماعية والحياة البرلمانية.

وأعرب التقدمي عن تقديره لمسيرة حماد الوطنية والمهنية، مؤكداً أهمية استحضار إسهامات الجيل الذي شارك في بناء التجربة البرلمانية والعمل النقابي والمهني في مرحلة مهمة من تاريخ البحرين الحديث.

كريم رضي يحاضر في «التقدمي» عن بدايات الحركة النقابية وتحديات الحاضر

نظم قطاع النقابات في «المنبر التقدمي» مساء الأحد ٤ أكتوبر، ندوة بعنوان «الحركة النقابية: البدايات وتحديات الحاضر»، استضاف خلالها القيادي النقابي كريم رضي، أحد مؤسسي الاتحاد العام لنقابات عمال البحرين وعضو قيادته لأربع دورات متتالية، وأدارها النقابي الرفيق علي غنّام، حيث استهل المحاضر حديثه باستعراض الظروف التي واكبت صدور المرسوم بقانون رقم (٣٣) لسنة ٢٠٠٢ عن جلالة ملك البلاد المعظم، وما سبقه من نقاشات في لجنة الميثاق تُوّجت بتثبيت الحق في تشكيل النقابات العمالية، وهو ما انعكس في دستور مملكة البحرين، فضلاً عن الحوارات التي جرت بين اللجنة العامة لعمال البحرين والحكومة ممثلة في وزارة العمل.

وأشار إلى استعانة الحكومة بالخبرات الدولية في هذا المجال، لا سيما الخبرات الفرنسية، وصولاً إلى دعوة جميع ممثلي العمال في اللجان المشتركة بمواقع العمل حينها، والبالغ عددهم قرابة 90 شخصاً، للقاء جلالة الملك في 24 سبتمبر 2002، حيث أعلن جلالته مضمون القانون الذي شرّع الحق النقابي لجميع عمال البحرين دون استثناء أي قطاع، والذي صدر في اليوم التالي، أي 25 سبتمبر 2002. كما تطرق إلى تعميم ديوان الخدمة المدنية رقم (19) لسنة 2003، اللاحق لنص المادة العاشرة من القانون، والذي نال من حق عمال القطاع الحكومي في تأسيس النقابات، مقتصراً حقهم على الانضمام إلى النقابات القائمة أو المؤسسة من قبل العاملين في القطاع الخاص.

وأكد رضي ما تضمنه القانون من مواد متقدمة ومكتسبات عمالية مقارنة بالقوانين العربية والتشريعات الناظمة لعمل المؤسسات المدنية والأهلية الأخرى في البحرين، خاصة في جانب شروط التأسيس؛ إذ لا تحتاج النقابات إلا إلى إيداع أوراقها لدى وزارة العمل دون انتظار قرار بالموافقة، فضلاً عن حريتها في إقامة نشاطاتها. وفي المقابل، أشار إلى استثناء مهم يتمثل في تقييد القانون لحرية الإضراب في العديد من المؤسسات والقطاعات بصورة مبالغ فيها.

انتقل المحاضر بعد ذلك إلى استعراض التحديات الراهنة التي تواجه الحركة العمالية، وفي مقدمتها التغيرات في عالم العمل، مستنداً إلى ما نصت عليه وثيقة منظمة العمل الدولية بشأن «مستقبل العمل» في دورتها رقم 108 عام 2019، والتي أشارت إلى التحولات الجذرية التي يحفزها التقدم التكنولوجي، والتحولات الديموغرافية، وتغير المناخ، والعولمة، والتي دفعت المنظمة إلى مناقشة إصدار اتفاقيات جديدة تخص قطاعات العمل الحديثة، مثل العاملين على المنصات الرقمية والعمالة المنزلية وغيرها.

ومن التحديات التي تناولها المحاضر التحرش في العمل وما جرى تضمينه من تعديلات في قانون العمل استجابة لاتفاقية العمل الدولية رقم (190)، إلى جانب قضايا العمالة المنزلية وحقوقها، وكذلك تحديات انتساب العمالة الأجنبية إلى العمل النقابي، والتراجع الكبير في نسب انخراط العمالة الوطنية، وغياب الاهتمام والرغبة لدى الفئات الشبابية.

وشهدت مداخلات الحضور نقاشات ثرية تمحورت حول حالة الانقسام والتشظي والصراعات بين بعض النقابيين. وأكد المتحدثون أن هذه الصراعات أفرزت تداعيات سلبية تمثلت في تغييب الملفات المطلبية العمالية عن الواجهة، وتوقف المفاوضات الجماعية، وتراجع العديد من الشركات والمؤسسات عن اتفاقيات سابقة، وانتقاص الحقوق والمكاسب التي حققتها الحركة العمالية إبان مرحلة تعاونها ووحدتها، مشددين على أن الانقسامات الراهنة بين القيادات النقابية تشكل عقبة رئيسية أمام مسيرة العمل النقابي.

في أمسية شعرية بالتقدمي:

عبدالحميد القائد يدشن ديوانه «عازف وحيد في زاوية المقهى»

استضافت اللجنة الثقافية للمنبر التقدمي، ضمن فعاليات ملتقى التقدمي الأسبوعي، الشاعر والأديب والمترجم عبدالحميد القائد في أمسية شعرية، تضمنت تدشين ديوانه الشعري الجديد: «عازف وحيد في زاوية المقهى»، حيث ألقى الضيف مجموعة من قصائد الديوان ونصوصاً شعرية أخرى له.

وتخللت الأمسية التي أدارتها الشاعرة الرفيقة منار السمّاك، أغنيات من كلمات الشاعر عبدالحميد القائد، من بينها قصيدة "حبيبتي" التي كتب كلماتها في سجن جزيرة جِدا أوائل سبعينيات القرن الماضي، ولحّن كلماتها المناضل والموسيقي الراحل مجيد مرهون فترة سجنه، وغناها بعد سنوات الفنان الراحل فوزي الشاعر ضمن أنشطة فرقة "أجراس" بقيادة الفنان سلمان زيمان، الذي أعاد تقديم الأغنية بصوته.

نقابة عمال «أسري» تبحث توظيف أبناء الموظفين وتحسين السكن والمواصلات

ناقش مجلس إدارة نقابة عمال «أسري» مستجدات ملف توظيف أبناء الموظفين وتحسين خدمات السكن والمواصلات، خلال اجتماعه الدوري الذي عُقد في 13 أكتوبر 2026، برئاسة نائب رئيس النقابة حسين جواد، ضمن التحضير للاجتماع الشهري مع إدارة الشركة.

واستعرض المجلس الجهود المبذولة لتسريع ملف توظيف أبناء الموظفين، وبحث تحسين خطوط المواصلات الخارجية لتيسير تنقل العاملين وتعزيز راحتهم وسلامتهم، إلى جانب متابعة أوضاع سكن العمال وتطوير مرافق دورات المياه.

كما تناول الاجتماع سبل تطوير المزايا والامتيازات المرتبطة بشركة «سفينة»، ومتابعة التواصل مع الإدارة لتسريع أعمال التشجير والإضاءة الليلية في مواقع العمل.

عمومية نقابة «بابكو» تناقش حقوق العمال ومكتسباتهم

أقرت الجمعية العمومية لنقابة عمال بابكو التقريرين الأدبي والمالي لعام 2025 وموازنة عام 2027، خلال اجتماعها الثالث الذي عُقد الخميس 8 أكتوبر 2026 في مطعم المصفاة، بحضور ممثلي الاتحاد العام لنقابات عمال البحرين.

وجاء انعقاد الاجتماع بعد عدم اكتمال النصاب القانوني للاجتماعين الأول والثاني، وفقًا للمادة «24» من النظام الأساسي للنقابة.

واستعرض رئيس النقابة سهيل التاجر جهود مجلس الإدارة في متابعة المكافأة السنوية «البونس» والزيادة السنوية، وحقوق الموظفين المنتقلين بين شركات المجموعة، وأوضاع العمال العائدين من شركة «تزويد»، إلى جانب متابعة الدرجات الوظيفية ومراجعة السلم الوظيفي.

وتناول التاجر التنسيق مع نقابتي «بابكو للغاز» و«بابكو للاستكشاف والإنتاج»، والعمل على استمرارية العضوية النقابية للعمال المنتقلين بين شركات المجموعة، مؤكدًا أهمية المحافظة على حقوقهم ومكتسباتهم في ظل التحولات التي شهدتها الشركة والظروف الاستثنائية التي مرت بها المنطقة.

وشدد على دور الجمعية العمومية في دعم العمل النقابي، وضرورة تحديث النظام الأساسي بما يواكب المتغيرات، وتعزيز التواصل والحوار بين مجلس الإدارة والأعضاء، بما يخدم مصالح العمال ويسهم في توفير بيئة عمل عادلة وآمنة.

وشهد الاجتماع نقاشًا مفتوحًا ومداخلات من أعضاء الجمعية العمومية بشأن الملفات المطروحة، فيما أكد مجلس الإدارة مواصلة متابعة المطالب العمالية والدفاع عن الحقوق والمكتسبات.

«تطوير النقابات العربية» .. غسان صليبي يروي مسيرة الدفاع عن الاستقلال النقابي

يستعرض غسان صليبي في كتابه «تطوير النقابات العربية: تحديات مسيرة مهنية» تجربته في العمل العمالي والنقابي، مقدمًا سيرة مهنية تتناول تحديات تطوير النقابات واستقلالها، وعلاقة العمل النقابي بالسلطات والانقسامات السياسية والطائفية.

ويتتبع الكتاب مسيرة صليبي منذ عمله في مصنع للغزل والنسيج بلبنان أواخر سبعينيات القرن الماضي، مرورًا بتجربته باحثًا ومستشارًا ومديرًا للتدريب النقابي في الاتحاد العمالي العام، وصولًا إلى توليه مسؤوليات تنظيمية وتطويرية في المنطقة العربية ضمن الاتحاد الدولي للخدمات العامة.

ويولي الكتاب اهتمامًا لتجربة النقابات المستقلة، التي يعدّها المؤلف من أبرز الظواهر النقابية العربية في العقود الأخيرة، مستعرضًا جهوده لدعم انضمامها إلى الاتحاد الدولي، وما واجهه من ممانعة لدى نقابات رسمية وتحفظات لدى اتحادات دولية.

كما يقدم صليبي مراجعة لعلاقته بالمؤسسات التي عمل فيها، ومحاولاته توسيع دوره المهني، وصولًا إلى استقالاته وانتقاله إلى الكتابة شبه اليومية. ومن خلال هذه المحطات، يمزج الكتاب بين التجربة الشخصية وقراءة واقع الحركة النقابية العربية، واضعًا العامل وظروفه الإنسانية والاجتماعية في صلب هذه التجربة.

نقابة عمال «أوال للألبان» تبحث مع الإدارة المزايا الوظيفية وتعزيز السلامة

بحثت نقابة عمال شركة أوال للألبان مع إدارة الشركة ملفات التأمين الصحي والمزايا الوظيفية والسلامة المهنية، خلال اجتماعهما الثالث الذي عُقد في أكتوبر 2026، بحضور مدير الموارد البشرية نيابةً عن الرئيس التنفيذي.

وأوضحت الإدارة أن التأمين الصحي الجديد سيتيح مستشفيات ومزايا أفضل، مع إمكانية إضافة أفراد أسر الموظفين مقابل رسوم، مشيرةً إلى العمل على إعادة برنامج «موظف السنة» نهاية العام، بانتظار موافقة مجلس الإدارة.

وأكدت استكمال إجراءات الزيادات والترقيات وتسلم جميع المستحقين مستحقاتهم، مع الإبقاء على العلاوة الاجتماعية الحالية والسعي إلى زيادتها مستقبلًا، إلى جانب العمل على رفع قيمة العيدية.

من جانبها، طرحت النقابة مقترحات لتعزيز السلامة وتحسين بيئة العمل، شملت تجهيز غرفة تمريض، وتوفير شاحنة مزودة بمصعد لفريق الصيانة ورافعات مكيفة للمخازن، إضافةً إلى متابعة مشروع تكييف المصنع.

نقلاً عن حساب الفنان على «انستجرام»

كاريكاتير
خالد الهاشمي

نقـــابـــات فـــرنســـا تـــرفض دفـــع فـــاتـــورة التقشـــف

تشهد فرنسا موجة إضرابات واحتجاجات تتلاقى فيها مطالب العمال والموظفين والمتقاعدين حول قضية أساسية: حماية مستوى المعيشة في مواجهة الغلاء والسياسات الحكومية لضبط الإنفاق. وبينما تتواصل الاحتجاجات الطلابية، تعمل النقابات على توحيد التحركات العمالية في القطاعين العام والخاص، وصولًا إلى إضراب وتظاهرات وطنية دعت إليها في الخامس من نوفمبر المقبل.

ويتركز الخلاف حول مشروع موازنة 2027، الذي يتضمن جهدًا ماليًا حكوميًا بنحو 54 مليار يورو، مع تجميد القيمة المرجعية لرواتب موظفي القطاع العام والحد من زيادة بعض معاشات التقاعد. وتقول الحكومة إن هذه الإجراءات ضرورية لخفض العجز وتجنب أعباء أشد مستقبلًا، فيما ترى النقابات أنها تُحمّل أصحاب الأجور والمتقاعدين كلفة معالجة الأزمة المالية، وتضعف الخدمات التي يعتمدون عليها. ولا يزال المشروع خاضعًا للنقاش البرلماني.

وترجمت هذه المواجهة إلى تحركات متعاقبة، أبرزها إضراب الوظيفة العامة في 29 سبتمبر، ثم تحرك عمال «توتال إنرجيز» في الثامن من أكتوبر للمطالبة بزيادة الأجور وتعزيز التوظيف. وفي قطاع الطاقة، تربط النقابات مطالبها بنقص العاملين وضغوط العمل والسلامة، وأعلنت توقف شحنات الوقود أو بدء وقفها في بعض المواقع خلال ذلك التحرك. كما دعا العاملون في وكالات بيئية وصحية إلى الاحتجاج في 15 أكتوبر دفاعًا عن الوظائف والتمويل العام.

أما جوهر المطالب النقابية، فهو زيادة الأجور والمعاشات والحد الأدنى للأجر، وحماية فرص العمل، وتعزيز تمويل الخدمات العامة. وتقترح النقابات عدالة ضريبية أكبر ومراجعة الدعم المقدم للشركات، معتبرة أن معالجة العجز يجب ألا تأتي على حساب القدرة الشرائية والحماية الاجتماعية.

ما يحدث في فرنسا إذن هو صراع اجتماعي حول مَن يتحمل كلفة ضبط المالية العامة، يتخذ حاليًا شكل احتجاجات وإضرابات قطاعية، وليس إضرابًا عامًا متواصلًا. وتسعى النقابات إلى تحويل هذه التحركات إلى قوة ضغط موحدة تُلزم الحكومة وأصحاب الأعمال بالتفاوض على الأجور والوظائف، بالتزامن مع معركة الموازنة في البرلمان.

التقدمي يستذكر المسيرة الوطنية والتربوية للمناضل محمد نصر الله

◀ المتروك يستعرض ستة عقود من العمل التربوي والوطني

◀ رفاق الاعتقال: فصل دراسي داخل المعتقل لتعليم المعتقلين

أبن المنبر التقدمي أحد أعضاءه المؤسسين القامة الوطنية الاستاذ الراحل محمد حسين نصر الله، في حفل تأبيني بهيّ وبحضور أفراد أسرته وعدد من أعضاء وعضوات المنبر وممثلي جمعيات سياسية وشخصيات وطنية ورفاق وأصدقاء الراحل، مستذكرين مسيرته الممتدة في العمل التربوي والوطني والسياسي وما تركه من أثر في أجيال من الطلبة ورفاق العمل العام. وبدأت الفعالية التي أدارها الرفيق وليد باقر، بوقفة صمت حداداً على روح الراحل ومن رحل من رموز الحركة الوطنية البحرينية.

وفي كلمة المنبر التقدمي، استعرض الأمين العام عادل المتروك جانباً من سيرة نصر الله، واصفاً إياه بأنه من الشخصيات التي تركت أثرها بهدوء ومن دون سعي إلى الظهور، مشيراً إلى مسيرة امتدت لأكثر من ستة عقود في العمل التربوي والوطني والسياسي.

وتناول المتروك تجربة الراحل في التعليم، موضحاً أنه تعامل مع المدرسة باعتبارها فضاءً لبناء الشخصية وترسيخ قيم المعرفة والانتماء والوعي، قبل أن ينخرط خلال ستينيات القرن الماضي في العمل السياسي ضمن جبهة التحرير الوطني البحرانية، ويشارك في أنشطة سياسية وتنظيمية وطلابية وشبابية، إلى جانب إعداد المواد التثقيفية المرتبطة بقضايا العمل والحقوق الاجتماعية.

وأشار إلى ما تعرض له نصر الله من اعتقالات خلال مراحل مختلفة من حياته، وإلى مساهمته لاحقاً، مع مرحلة الانفراج السياسي، في تأسيس المنبر التقدمي عام 2001، واستمرار حضوره في أنشطته ولجانه، ونقل خبرته إلى الأجيال الجديدة من دون أن يجعل من أقدميته أو تاريخه حاجزاً بينه وبين الشباب.

من جانبه، استعاد النقابي عباس عواجي ذكريات جمعته بالراحل منذ سنوات الشباب والاعتقال، متوقفاً عند حضوره التربوي حتى في ظروف السجن، حيث أشار إلى أن نصر الله كان حريصاً على مواصلة دوره التعليمي، وفتح فصلاً دراسياً داخل المعتقل لمساعدة عدد من المعتقلين على مواصلة تحصيلهم الدراسي.

وتحدث عضو الأمانة العامة في التجمع القومي الديمقراطي الدكتور حسن العالي عن معرفته المبكرة بالراحل عندما كان أحد طلبته، مستذكراً ما وصفه بإخلاصه لمهنة التعليم وحرصه على غرس قيم الانضباط والمسؤولية وحب الوطن، إلى جانب حضوره في محطات من العمل الوطني والسياسي.

عادل المتروك

مهدي مطر

جانب من الحضور

عباس عواجي

◄ عائلة الراحل تستذكر جانبه الإنساني والأبوي

◄ رفاقه وتلامذته يستعيدون محطات من مسيرته في العمل العام

◄ العالي: سيرة الفقيد تجسد أهمية العمل الوطني المشترك

كميلة نصر الله

حسن العالي

حسن جاسم

كما تناول العالي العلاقة التاريخية بين التيارات القومية والتقدمية واليسارية والديمقراطية في البحرين، معتبراً أن سيرة نصر الله جسدت أهمية العمل الوطني المشترك والحوار وقبول الاختلاف، وداعياً إلى الاستفادة من تجارب الأجيال السابقة في تجديد العمل الوطني والديمقراطي بما يتلاءم مع التحولات السياسية والاجتماعية الراهنة.

واستعاد حسن جاسم رضي جانباً من علاقته الشخصية بالراحل منذ مطلع سبعينيات القرن الماضي، مشيراً إلى مساعدة نصر الله له أثناء فترة الاعتقال على مواصلة دراسته الثانوية، من خلال توفير المناهج الدراسية له، وهي الخطوة التي قال إنها أسهمت لاحقاً في استكمال دراسته والتحاقه بالتعليم الجامعي.

بدوره، استذكر مهدي مطر ثلاث محطات جمعته بنصر الله، بدأت عندما كان طالباً في مدرسة جدحفص في نهاية ستينيات القرن الماضي، حيث تحدث عن أسلوب الراحل التربوي القائم على النصح والتوجيه بدلاً من العقاب، ثم لقائه به خلال فترة الاعتقال في مطلع الثمانينيات، وصولاً إلى لقاءات لاحقة معه في المنبر التقدمي وفي مناسبات اجتماعية ووطنية.

وفي كلمة عائلة الفقيد، تحدثت ابنته كميلة محمد حسين نصر الله عن الجانب الإنساني والأبوي في شخصية والدها، مستذكرة محبته للناس وحرصه على مساعدة الآخرين، وما اتسم به في حياته الأسرية من حنان واهتمام بأبنائه، مؤكدة أن أثره باقٍ في أسرته وفي كل من عرفه.

واختتمت الفعالية بعرض مجموعة من الصور التي وثقت محطات مختلفة من حياة الراحل مع أسرته ورفاقه وأصدقائه، في استعادة لجوانب من مسيرته العائلية والتربوية والوطنية.

في حفل تأبيني نظمه المنبر التقدمي بمشاركة شخصيات وطنية ورفاق دربه

استعـــادة مسيـــرة المنـــاضـــل
جعفر الوداعي «أبو باسل» ودوره في الحركة الوطنية والعمالية

استذكر متحدثون من القوى السياسية والوطنية ورفاق النضال وأصدقاء وأسرة المناضل الوطني والعمالي الراحل السيد جعفر إبراهيم الوداعي «أبو باسل»، مسيرته النضالية الممتدة لنحو ستة عقود، وما قدمه من تضحيات ومواقف في الدفاع عن حقوق العمال والحريات العامة والعدالة الاجتماعية، مؤكدين أن الراحل جسّد نموذجاً للمناضل المتمسك بمبادئه وقناعاته، وجمع بين الصلابة في المواقف السياسية والتواضع والتسامح في علاقاته الإنسانية والاجتماعية.

جاء ذلك خلال الحفل التأبيني الذي نظمه المنبر التقدمي تكريماً لذكرى الراحل، الذي وافته المنية في 30 أغسطس 2026، بمشاركة ممثلين عن القوى الوطنية ورفاقه وأصدقائه وأفراد أسرته، حيث استعرض المتحدثون محطات من حياته وتجربته في الحركة الوطنية والعمالية البحرينية، مستحضرين مواقفه وتضحياته منذ انخراطه في العمل السياسي والنقابي في ستينيات القرن الماضي، مروراً بسنوات الاعتقال والعمل الوطني، وصولاً إلى مساهمته في تأسيس المنبر التقدمي عام 2001، واستمرار حضوره في الفعاليات الوطنية والعمالية رغم تقدمه في العمر واعتلال صحته.

وتخلل فعاليات حفل التأبين الذي أدارته الرفيقة منار السمّاك عرض فيلم مصور سلط الضوء على محطات من حياة الفقيد.

الوفاء لذكرى الفقيد بالسير على خطاه

في كلمة المنبر التقدمي التي ألقاها أمينه العام الرفيق عادل المتروك استذكر السيرة النضالية لأبو باسل مؤكداً أن مسيرته الممتدة لنحو ستة عقود من العمل الوطني جسّدت انحيازه إلى العمال والكادحين، ووفاءه لمبادئه وقربه من الناس.

وأشار المتروك إلى التحاق الوداعي بجبهة التحرير الوطني البحرانية عام 1967، ومشاركته في إضراب عمال الكهرباء بمحطة أم الحصم عام 1968، وما تعرض له من اعتقال وفصل من العمل بسبب مواقفه، ومن بينها اعتقاله في جزيرة جدة عام 1975.

ولفتت الكلمة إلى مواصلة الفقيد نشاطه الوطني مع تأسيس المنبر التقدمي عام 2001، وإسهاماته في العمل الجماهيري والاجتماعي بقرية باربار، ولا سيما تشجيع الشباب على التحصيل العلمي، ومواجهة محاولات تفريق المجتمع، إلى جانب مساندته ذوي الحاجة ودفاعه عن المظلومين.

كما استعاد مشاركته في المطالبة باستعادة الحياة النيابية وتوقيعه على عريضتي عامي 1992 و1994، وحرصه على المشاركة في الفعاليات المساندة للشعب الفلسطيني رغم المرض.

وشددت الكلمة على أهمية حفظ تاريخ المناضلين وتوثيق تضحياتهم وخبراتهم للأجيال الجديدة، مؤكدة أن الوفاء لأبي باسل يقتضي مواصلة العمل من أجل البحرين وكرامة الإنسان، ومقدمةً التعازي إلى أسرته وأهالي باربار ورفاقه.

دراجة نارية ومنشورات الجبهة

وفي كلمة ألقاها باسم رفاق الراحل في قرية باربار، استحضر المحامي حسن إسماعيل ذكرياته مع «أبي باسل»، مستعيداً ما كتبه عنه في مقال نشرته صحيفة «الوسط» عام 2012 بعنوان «ذاكرة وطنية»، حين تحدث عن دراجته النارية التي كان يستخدمها لنقل منشورات جبهة التحرير الوطني إلى مختلف المناطق، بما فيها الأحياء السنية، للدعوة إلى الوحدة الوطنية ونبذ الطائفية.

يتبع

شبر الوداعي

حسن إسماعيل

رضا رجب

حسن العالي

وأكد إسماعيل أن الراحل كان من أوائل أبناء قرية باربار الذين تشربوا الفكر الأممي، وتميز بروحه الاجتماعية الطيبة ونكران الذات والعطاء دون انتظار مقابل، مشيراً إلى أنه ظل ثابتاً في دفاعه عن الحرية والكرامة وحقوق المواطنين حتى أيامه الأخيرة.

وتوقف عند عدد من المواقف الشخصية التي جمعته بالراحل، ومنها استقباله له عقب الإفراج عنه من الاعتقال عام 1983، وحرصه على متابعة نشاطه الصحفي والوطني وتشجيعه، لافتاً إلى أن «أبا باسل» بقي حاضراً في فعاليات المنبر التقدمي واحتفالات الأول من مايو، معتزاً بانتمائه إلى الحركة العمالية وجبهة التحرير الوطني، رغم ما كان يبديه أحياناً من ملاحظات على أداء المنبر.

مفاوض عمالي

من جانبه، أكد الدكتور حسن العالي، في كلمة التجمع القومي الديمقراطي، أن الراحل أمضى نحو ستة عقود مدافعاً عن حقوق العمال والكادحين وقيم الحرية والمساواة والعدالة الاجتماعية، مشيراً إلى مشاركته في إضراب عمال الكهرباء بمحطة التشغيل في أم الحصم عام 1968، ووجوده ضمن الوفد العمالي الذي نقل مطالب العمال إلى حاكم البحرين آنذاك الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة، وما أعقب ذلك من اعتقاله وفصله من العمل.

وأضاف أن الوداعي واصل نضاله خلال المراحل السياسية اللاحقة، وتعرض للاعتقال مجدداً في أغسطس 1975، كما شارك في المطالبة بعودة الحياة النيابية ووقّع على العريضتين النخبوية والشعبية خلال تسعينيات القرن الماضي، قبل أن يساهم مع رفاقه في تأسيس المنبر التقدمي عام 2001.

وأشار العالي إلى أن الراحل كان منحازاً لقضايا العمال بحكم تجربته الشخصية، وحريصاً على المشاركة في الفعاليات المساندة للقضية الفلسطينية والمناهضة للتطبيع رغم ظروفه الصحية. كما شدد على أهمية توثيق تجارب رواد الحركة الوطنية والعمالية وحفظ شهاداتهم للأجيال القادمة، داعياً إلى تعزيز العمل المشترك بين القوى الوطنية والديمقراطية وترسيخ قيم المواطنة المتساوية والوحدة الوطنية والعدالة الاجتماعية.

المناضل الصلب

وفي شهادة إنسانية باسم مجلس بن رجب، تناول رضا بن رجب علاقة الراحل بالمجلس الذي ظل أحد رواده وأعمدته لأكثر من عشرين عاماً، مؤكداً أن الحاضرين عرفوا في السيد جعفر المناضل الصلب، بينما عرف رواد المجلس في «أبي باسل» الإنسان الودود وصاحب القلب الرقيق، الذي استطاع المحافظة على علاقاته ومودته مع الآخرين رغم اختلاف الآراء والمواقف.

واستذكر بن رجب مواقف إنسانية جسدت وفاء الراحل لرفاقه وأصدقائه، ومنها تأثره الشديد عند الإفراج عن أحد رفاقه من السجن، وحزنه لفقدان المقربين منه، مستحضراً آخر لقاء جمعه به خلال مجلس عزاء أحد أصدقائه قبل أيام من رحيله.

وأشار إلى أن الراحل جعل من مجلس بن رجب مساحة للحوار والتواصل بين مختلف أطياف المجتمع، وأن الاختلاف السياسي لم يكن بالنسبة إليه سبباً للقطيعة أو فقدان الاحترام المتبادل. وأضاف أن المجلس خصص أول لقاء له بعد انتهاء إجازته لاستذكار الراحل وتكريمه، وفاءً لما مثله من حضور إنساني واجتماعي امتد لسنوات طويلة.

مبكراً في العمل الوطني

بدوره، تناول المناضل مهدي مطر، في كلمة رفاق النضال الوطني، المحطات السياسية في حياة «أبي باسل»، مشيراً إلى انخراطه المبكر في العمل الوطني خلال فترة الوجود البريطاني، ومشاركته في النضال من أجل استقلال البحرين، ثم مواصلة نشاطه مع رفاقه في جبهة التحرير الوطني دفاعاً عن الحريات العامة والديمقراطية والمواطنة المتساوية ورفض التمييز الطائفي والمذهبي.

وأكد مطر أن الراحل لم يتراجع عن قناعاته رغم الاعتقالات والفصل من العمل والظروف الصعبة التي مر بها، وظل حريصاً على حضور الفعاليات العمالية والوطنية والقومية، مشيراً إلى أن مواقفه تجاه القضية الفلسطينية كانت جزءاً أصيلاً من قناعاته السياسية، وقد ترجمها بمشاركته المستمرة في الأنشطة والاعتصامات التضامنية مع الشعب الفلسطيني.

ولفت إلى أن الوداعي ترك تجربة غنية في العمل الوطني والعلاقات الاجتماعية العابرة للاختلافات الطائفية والمذهبية، مستذكراً لقاءاته برفاقه وأصدقائه في قرية باربار، وما تميز به من حسن الاستقبال والتواصل مع مختلف الشخصيات والقوى الوطنية.

نقابي أممي

وفي كلمة العائلة، استعرض الدكتور شبر الوداعي جوانب من السيرة الإنسانية والاجتماعية والنقابية للراحل، مستشهداً بشهادات عدد من الشخصيات الوطنية والعمالية التي عاصرته، ومن بينها الراحل محمد حسين نصر الله والنائب السابق علي ربيعة والمناضل النقابي عبدالله مطويع.

وأشار إلى أن هذه الشهادات عكست المكانة التي حظي بها «أبو باسل» بين رفاقه، ولا سيما مواقفه في الدفاع عن حقوق الطبقة العاملة، مؤكداً أن نشاطه لم يقتصر على العمال البحرينيين، بل امتد إلى مساندة العمال الأجانب في مطالباتهم بحقوقهم، انطلاقاً من قناعاته الأممية والإنسانية.

واستعاد شبر الوداعي شهادات عن مشاركة الراحل في الإضرابات والمسيرات العمالية خلال ستينيات وسبعينيات القرن الماضي، وما اتسم به من شجاعة في الميدان، إلى جانب قدرته على تقبل الاختلاف في الرأي والحفاظ على علاقاته الطيبة مع رفاقه ومحيطه الاجتماعي.

وخصّ الوداعي زوجة الراحل «أم باسل» بكلمات التقدير والامتنان، مستعرضاً ما تحملته من مسؤوليات وصعوبات في رعاية الأسرة خلال سنوات العمل السياسي والنقابي والاعتقال التي مر بها زوجها، مؤكداً أن صبرها وتضحياتها شكّلا جانباً مهماً من مسيرة العائلة، يستحق الاستذكار والتقدير.

واختتم كلمته بتوجيه الشكر إلى المنبر التقدمي على تنظيم الحفل التأبيني، وإلى المشاركين والحاضرين على وفائهم لذكرى الراحل ومواقفه.

وقد عكست الكلمات التي شهدها الحفل تعدد الجوانب التي ميزت شخصية المناضل السيد جعفر الوداعي، بين العامل المدافع عن حقوق زملائه، والناشط الوطني المتمسك بقناعاته، والإنسان القريب من مجتمعه ورفاقه، فيما أكد المتحدثون أهمية الحفاظ على سيرته وتوثيق تجربته بوصفها جزءاً من تاريخ الحركة الوطنية والعمالية البحرينية، ونقل ما تحمله من دروس وتجارب إلى الأجيال القادمة.

وداعاً الرفيق والمناضل النقابي والحزبي «أبو باسل»

رضي السمّاك

بدايةً، لا بد لي أن أعتذر عن تأخري في رثاء المناضل العمالي الكبير، والنقابي والحزبي، الصديق السيد جعفر الوداعي «أبو باسل»، وذلك لظروف قاهرة خارجة عن إرادتي؛ إذ شاءت الأقدار أن تفتقد الحركة الوطنية البحرينية، وعلى الأخص «المنبر التقدمي» وتيار جبهة التحرير الوطني عامةً، مناضلين كبيرين خلال أقل من ثلاثة شهور. فالمناضل الأول، وهو أستاذي المربي الفاضل محمد حسين نصر الله، رحل عن عالمنا في ١٤ يونيو/حزيران الفائت، بينما افتقدنا المناضل الثاني، الصديق النقابي والعمالي السيد جعفر الوداعي، في ٣٠ أغسطس/آب. رحمهما الله برحمته الواسعة، وأسكنهما فسيح جناته، وألهم ذويهما الصبر والسلوان.

ويمكننا القول إن المناضل أبا باسل كان الأول المؤثّر (بكسر الثاء) في تغيير وجه قرية باربار الثقافي والاجتماعي، ونقلها من حال إلى حال آخر مختلف. أما الشخص الثاني المؤثِّر في قرية باربار من بعده، فقد كان بطبيعة الحال الرفيق إبراهيم الجمري، والذي يُعرف في الأوساط الطلابية والاجتماعية في قريته بـ«الأستاذ». ومن خلال الدور المحوري للرفيقين، «أبو باسل» و«أبو خليل»، نشأت نخبة مثقفة تتمتع بالاحترام والتقدير داخل القرية، على تفاوت اهتماماتها السياسية والرياضية، بل وحتى لدى العوام من بسطاء أبناء القرية. كما كان لهما دور كبير في تنشيط المؤسسات الثقافية والرياضية داخل نادي باربار الرياضي والثقافي، وهو النادي الذي اشتهر على مستوى الوطن بتميزه في كرة اليد، ورفع رأس مملكة البحرين عالياً من خلال صبر هذا الفريق ومثابرته في محاولاته للوصول إلى نهائيات المسابقات العربية والعالمية. وكان أبرز إنجاز له في هذا الصدد تبوؤه المركز الثالث على مستوى البطولة الآسيوية للعام 2003/2004.

كما كان المناضل الوداعي يحرص على الحضور في مأتم عائلتهم الكبيرة، «مأتم السيد فاخر الوداعي». وقد عُرف فقيدنا الراحل كذلك ببشاشته، فلم أره في حياتي، طوال سنوات معرفتي به، عابساً أو متبرماً ولو مرة واحدة. وكان دائم الحرص على حضور جلسة لجنة المتقاعدين يوم الاثنين من كل أسبوع، وظل هذا ديدنه حتى الأسبوع الأخير قبيل وفاته. وإلى ذلك، فإن المناضل «أبا باسل» لم يكن يفوّت أي مناسبة نلتقي خلالها دون أن يستذكر سنوات النضال الصعبة التي مر بها ورفاقه.

وبالإضافة إلى لقاءاتي بـ«أبي باسل» في باربار خلال المناسبات العامة، لا بد لي أن أستذكر لقاءاتنا في مجلس المناضل القومي وعضو برلمان 1973، الأستاذ علي ربيعة، الذي كان أحد أعضاء «كتلة الشعب» فيه، والتي لعبت جبهة التحرير الوطني دوراً في تشكيلها. فقد كنا نلتقي صباح يوم الجمعة من كل أسبوع في مجلس ربيعة، حيث تحضر رموز وشخصيات من شتى ألوان الطيف السياسي والديني لشعبنا العظيم، بل ومن مختلف مناطق البحرين. وكان أبو باسل يحرص على حضور هذه العادة الأسبوعية بانتظام، رغم بُعد المسافة بين قرية باربار، الواقعة بالقرب من شارع البديع، والمحرق.

وهنا، لا بد لي أن أستذكر أيضاً المحبة الكبيرة التي كان يكنّها إليه إحدى تلك الشخصيات، ألا وهو المرحوم رجل الأعمال الأستاذ جاسم مراد، الذي كان من أقرب أصدقاء المناضل علي ربيعة، وهو أيضاً زميله في برلمان 1973، رغم وجودهما في كتلتين مختلفتين؛ فربيعة كان، كما أسلفنا، في كتلة الشعب، بينما كان مراد في الكتلة التي أُطلق عليها كتلة «الوسط».

وبالإضافة إلى تلك الأماكن التي كنا نلتقي فيها، فقد كنا نحرص على حضور مجلس المناضل الليبرالي جاسم مراد أيضاً، في مجلسه الكائن بمنطقة القفول، القريبة من منطقة المنامة، والمشهورة بالحديقة المائية، قبالة مستشفى السلمانية تقريباً.

وكان الأستاذ مراد، رحمه الله، بمثابة مكتبة متنقلة في شخص واحد. وهو أشبه، إذا جاز لنا التعبير، بموزّعي المناشير من قِبل مناضلي الأحزاب اليسارية؛ إذ لم يكن يفوّت، لدى مجيئه إلى مجلس علي ربيعة، فرصة طباعة نسخ من آخر المقالات التي قرأها في مختلف المجلات والصحف العربية، والتي يراها جديرة بالقراءة وتعميم الفائدة، سواء كان ذلك في مجلسه الأسبوعي بالقفول، أو لدى زيارة مجلس صديقه علي ربيعة. وإلى جانب ذلك، كان محارباً شرساً ضد الخرافات والشعوذة، ولم يكن يخفي تحفظه على التبرع للصناديق الدينية لتخوفه من طابعها المسيس.

صحيح أن أبا باسل كان متمسكاً بالمبادئ الماركسية كما فهمها وعرفها منذ زمن جبروت الاتحاد السوفييتي، ووجوده على الساحة الدولية مهاباً بوصفه إحدى القوتين العظميين. وصحيح أيضاً أن ثمة تيارات تجديدية اليوم في نهر الماركسية العظيم، لكن ينبغي علينا ألا ننسى أنه لولا الاتحاد السوفييتي لما تشربنا جميعاً الفكر الماركسي الطبقي العظيم، وأن هذه التيارات التجديدية إنما تأثرت بدايةً بالتيار الأول الذي انبثق عنه هذا الفكر. وهذا ما أكدت عليه في جلسة حوارية جادة وصريحة، خلال أحد لقاءات لجنة المتقاعدين بمقر التقدمي.

وكان أبو باسل صاحب الفضل الأول في نيل معظم الخريجين شهاداتهم العليا من خلال ترشيح أوراقهم وشهاداتهم لحصة جبهة التحرير لتلك الدراسات.

وليس غريباً، والحال كذلك، وبالنظر إلى طهرانيته الثورية، أن يمتلئ مقر التقدمي بهذا العدد المهول من الحضور، الذين كان ثلثهم واقفاً أو جالساً في قاعة الاستقبال، مستمعاً إلى الكلمات التي أُلقيت من قبل أفراد عائلته، بل ومن مختلف رموز وقيادات الجمعيات السياسية الوطنية.

بصراحة

المنبر التقدمي .. ربعُ قرنٍ من النضال

فاضل الحليبي

بتاريخ ٣٠ سبتمبر ٢٠٠١ تمَّ ترخيص وتسجيل المنبر التقدمي تحت مسمى (جمعية المنبر الديمقراطي التقدمي) بموجب القرار رقم (٣١) لسنة ٢٠٠١، من قبل وزارة العمل والشؤون الاجتماعية، ونُشِرَ في الجريدة الرسمية يوم الأربعاء الموافق ١٠ أكتوبر ٢٠٠١، العدد رقم ٢٤٩٨. بعدها تمَّ تحويل الجمعيات السياسية تحت إشراف وزارة العدل والشؤون الإسلامية في عام ٢٠٠٥، ونظراً لعدم وجود (قانون للأحزاب) بقيت التيارات السياسية والفكرية والدينية تحت مسمى (الجمعيات السياسية)، ولكن في الأصل معظمها أحزاب سياسية عقائدية (يسارية، قومية، إسلامية).

قبل هذا الإشهار، عُقِدَ الاجتماع التشاوري التأسيسي التاريخي في الثاني عشر من يوليو 2001، بمشاركة كوكبة من مناضلي جبهة التحرير الوطني البحرانية وأنصارها، فاق عددهم أربعمائة من الرفيقات والرفاق، في نادي طيران الخليج بمنطقة «سلماباد» في البحرين. ولأول مرة في التاريخ السياسي، يجتمع (الشيوعيون) بشكل علني في البحرين، وقد كتب أحدهم في الصحافة المحلية عن هذا الخبر.

جاء هذا الاجتماع بعد فترة طويلة من الإعداد والتحضير من قبل مجموعة صغيرة من الرفاق، أطلق عليها رفيقنا الراحل أحمد البوسطة تسمية «فرقة الكومندوز»، بصفته واحداً من تلك المجموعة التي ظلَّت تُعدّ وتتواصل مع مجاميع أخرى من الرفاق والرفيقات من أجل إنجاز وتنظيم ذلك الاجتماع التاريخي الهام في تاريخنا السياسي، بعد مسيرة حافلة بالنضال والتضحية بدأت في الخامس عشر من فبراير عام 1955، مع تأسيس جبهة التحرير الوطني البحرانية، حزب الطبقة العاملة وسائر الكادحين والمثقفين الثوريين في البحرين، الحزب الماركسي اللينيني، ضد الاستعمار البريطاني والرجعية. ناضلت الجبهة من أجل نيل الحرية والاستقلال الوطني والتقدم الاجتماعي والسلم.

عملنا على تجميع أكبر عدد من الرفاق والرفيقات والأنصار من المحسوبين على جبهة التحرير الوطني، والمهمة لم تكن سهلة؛ فهناك من ترك الجبهة منذ سنوات، وهناك من تخلّى عن الأفكار الماركسية، وآخرون لديهم ظروفهم، سواء في العمل أو الأسرة. جرت مياه كثيرة تحت الجسر، ولم يعُد الرفاق مثلما كانوا إبَّان العمل السري، والأوضاع تغيّرت كثيراً. وكانت الضربة البوليسية القمعية عام 1986 على جبهة التحرير الوطني واتحاد الشباب الديمقراطي البحراني «أشدب»، من قِبل جهاز الأمن بقيادة الضابط البريطاني أيان هندرسون، قاسيةً وموجعةً، سقط فيها الرفيق الدكتور هاشم العلوي شهيداً، وصدرت أحكام جائرة ضد عدد كبير من رفاقنا. وظلّت تداعياتها حتى عام 2001. قلّةٌ من الرفاق واصلوا الطريق، وحاولوا الحفاظ على النواة الحزبية، وجاء انهيار الاتحاد السوفياتي ودول المنظومة الاشتراكية في نهاية ثمانينيات القرن الماضي وبداية تسعينياته، لتتغيَّر البوصلة عند البعض الذي اعتقد بأن الليبرالية هي الخيار الأفضل، قبل أن تتحول إلى الليبرالية الجديدة، وهي أكثر خطورةً وشراسةً من الليبرالية الكلاسيكية، ومعادية للطبقة العاملة ونضالاتها ونقاباتها، وحليفة قوية للحركة الصهيونية. وكان ذلك واضحاً في أكثر من حدث، أبرزها الموقف من الشعب الفلسطيني وحقوقه المشروعة، بل أكثر من هذا، إذ ساهمت تلك الدول التي تتبنّى تلك الأيديولوجيا الفاشية في الإبادة الجماعية ضد الشعب الفلسطيني في قطاع غزة على مدار ثلاثة أعوام، واليوم تشنُّ حروبها العدوانية في أكثر من بقعة من بقاع العالم.

لقد مضى خمسة وعشرون عاماً على تأسيس المنبر التقدمي، وقد تحققت نجاحاتٌ (عودة بعض الرفاق للعمل الحزبي والتطوعي من جديد) بالشكل العلني، وكانت هناك إخفاقاتٌ. لقد صمد المنبر التقدمي أمام العواصف التي هبَّت في وجهه؛ كانت سريعةً وقويةً، ولكنه تجاوزها ومضى في العمل من أجل تحقيق جزء من أهدافه. حاول أن يُنشِئَ له خطاً سياسياً وفكرياً واقعياً، يتعاطى مع الواقع الملموس ولا يتخلّى عن مبادئه وأفكاره، ولا أريد أن أتوقف أمام تلك المنحدرات الخطيرة التي كادت أن تُسقط التقدمي في تباينات وخلافات لا نهاية لها؛ تجاوزها ومضى في مساره الواقعي.

ولكن التحدي الأصعب اليوم الذي يواجهه المنبر التقدمي هو عزوف الشباب عن العمل الحزبي والتطوعي، فالشباب هم مستقبل الحزب، والحزب الذي لا يستقطب الشباب يكون وضعه صعباً. صحيحٌ أن هناك ظروفاً تحول دون التحاق الشباب بالعمل الحزبي، ولكن على الحزب التفكير بجدية في كيفية تخطي هذه المعضلة أو العائق، وأن يحظى الشباب باهتمام خاص، وأن يكونوا على أجندة برامجنا وأنشطتنا دائماً، وأن تكون هذه مهمتنا الحزبية الأولى، فهم مستقبل الحزب.

كانت بوصلة التقدمي الوطن والمواطنين والدفاع عنهم مهما كانت الظروف قاسية، وكان ملتزماً بميثاق العمل الوطني، والذي تُشكِّل الديمقراطية والحريات العامة والمساواة والعدالة الاجتماعية أهمَّ ركائزه، ومن دونها يفقد مضامينه السياسية والاجتماعية.

كلما توسعت الديمقراطية والحريات العامة وتعزز احترام حقوق الإنسان، كانت الجبهة الداخلية قوية، وزاد التلاحم الوطني، فالوحدة الوطنية سلاح شعبنا الأبلغ والأمضى.

البنزين يضغط على ميزانية المواطنين .. فاتورة تتصاعد وتُقتطع من الرواتب

لم تعد كلفة البنزين مجرد مبلغ يدفعه المواطن عند محطة الوقود؛ فهي كلفة الوصول إلى العمل، وتوصيل الأبناء إلى المدارس، ومراجعة المستشفى وقضاء احتياجات المنزل. ومع ارتفاع أسعار الوقود في البحرين مطلع أكتوبر ٢٠٢٦، تواجه الأسر سؤالاً متجدداً: كيف تستوعب زيادة في مصروف يومي يصعب الاستغناء عنه، فيما تتزاحم الالتزامات على الراتب؟

وبحسب إعلان لجنة تحديد ومراقبة أسعار الوقود، الساري منذ الثاني من أكتوبر الماضي، بلغ سعر لتر الجيد «٩١» ٢٣٥ فلساً، والممتاز «٩٥» ٢٧٧ فلساً، والسوبر «٩٨» ٤١٠ فلوس، والديزل ٢٦٠ فلساً. وأوضحت اللجنة أن التسعير يعكس متغيرات الأسواق العالمية، مع استمرار دعم الديزل للصيادين البحرينيين.

ومقارنة بسبتمبر، ارتفع الجيد عشرة فلوس للتر، والممتاز والسوبر ثلاثين فلساً لكل منهما، والديزل واحداً وثلاثين فلساً؛ بزيادات تعادل نحو 4.4٪ و12.1٪ و7.9٪ و13.5٪ على التوالي. ويتفاوت أثرها بحسب نوع الوقود وحجم الاستخدام، لكن تكرار التعبئة يحول الفارق المحدود ظاهرياً إلى عبء شهري متراكم.

وتكشف المقارنة التاريخية اتساع الفجوة؛ فقبل تعديل يناير 2016، كان لتر الجيد يباع بثمانين فلساً والممتاز بمئة فلس، ثم ارتفعا إلى 125 و160 فلساً، اعتباراً من 12 يناير من ذلك العام. وبذلك صعدت كلفة خمسين لتراً من الجيد من أربعة دنانير إلى 6.250 دنانير عند التعديل، وصولاً إلى 11.750 ديناراً حالياً، بينما ارتفعت الكمية نفسها من الممتاز من خمسة دنانير إلى ثمانية، ثم إلى 13.850 ديناراً. وهذه مقارنة للوقود وحده، لا تفترض ثبات الرواتب وبقية النفقات طوال الفترة.

غير أن الدلالة المعيشية للأسعار تظهر بصورة أوضح عند مقارنتها بالأجور. فبحسب الهيئة العامة للتأمين الاجتماعي للربع الثاني من 2026، بلغ متوسط الراتب الشهري للبحرينيين المؤمن عليهم في القطاعين العام والخاص 936 ديناراً، مقابل وسيط قدره 620 ديناراً؛ أي إن نصف المشمولين يتقاضون هذا المبلغ أو أقل. وفي القطاع الخاص، بلغ المتوسط 919 ديناراً والوسيط 500 دينار. وهي أجور أفراد مسجلة، وليست صافي دخل الأسر بعد الاستقطاعات.

وتوضح الفجوة بين المتوسط والوسيط أن الاستناد إلى متوسط الرواتب وحده قد يحجب واقع أصحاب الدخول الأقل. فكلما انخفض الراتب، استحوذ الوقود على حصة أكبر منه، حتى عند ثبات الاستهلاك، وأصبحت الزيادة أصعب استيعاباً في ميزانية مثقلة بالسكن والغذاء والفواتير والديون.

ولا تُقاس وطأة الزيادة بقيمتها وحدها، بل بما تبقى للأسرة بعد الالتزامات الأساسية. فقد يدفع تأمين المشاوير الضرورية إلى تقليص الترفيه والمشتريات أو الادخار للطوارئ، خصوصاً مع تباعد مواقع السكن والعمل والمدارس. فالموظف لا يستطيع تعليق ذهابه إلى العمل، ولا يمكن تأجيل مشاوير العلاج بسهولة.

ويمتد الضغط إلى العاملين الذين يعتمد رزقهم على المركبات؛ إذ يتراجع دخلهم الصافي إذا ارتفعت كلفة التشغيل وبقي المقابل ثابتاً. وقد تنتقل بعض الزيادة إلى النقل والتوصيل وتوزيع السلع، لكن ذلك لا يبرر رفع جميع الأسعار بالنسبة نفسها؛ فالأثر يتوقف على حصة الوقود من كلفة كل نشاط.

وبالتوازي، برزت شكاوى بشأن سرعة نفاد البنزين. ونقلت «البلاد» في 24 سبتمبر عن النائب جلال كاظم المحفوظ تلقيه ملاحظات من مواطنين حول نفاده خلال مدة أقصر، رغم عدم تغير استخدام مركباتهم بصورة ملحوظة، مطالباً بفحوص ومقارنات علمية معلنة.

وتستحق هذه الشكاوى التحقق، لكنها لا تثبت تراجع الجودة أو تغير المواصفات، ولم تتضمن المادة المنشورة نتائج فنية تؤكدها. ويجب التمييز بين انخفاض الكمية المشتراة بالمبلغ نفسه، وتراجع المسافة المقطوعة بالكمية نفسها؛ فعشرة دنانير كانت تشتري نحو 40.5 لتر من الممتاز في سبتمبر، مقابل 36.1 لتر في أكتوبر. لذلك قد تتكرر زيارة المحطة دون تغير كفاءة الوقود، بينما تستلزم مقارنة اللترات المتساوية ضبط المسافة والقيادة والتكييف وحالة المركبة.

ولا تنفصل المشكلة عن التوترات الإقليمية؛ فقد ربطت تقارير «رويترز» في أكتوبر ارتفاع النفط بمخاوف الإمدادات واستمرار الصراع والهجمات على الناقلات. ويصعّب ذلك توقع انفراج مستقر، دون أن يعني استحالة انخفاض الأسعار مع تغير الظروف.

وتواجه الحكومة، ضمن هذه المعطيات، موازنة صعبة بين تخفيف الأعباء وكلفة الدعم واستدامة المالية العامة، في سوق تتأثر بعوامل تتجاوز القرار المحلي. لذلك لا يمكن اختزال الأزمة في مسؤولية جهة محلية وحدها، ولا تحديد موعد موثوق لانحسارها.

ويبقى المواطن محدود الدخل الحلقة الأضعف والأقل قدرة على امتصاص التقلبات. وتبرز الحاجة إلى بحث مساندة موجهة وفق الإمكانات المتاحة، وتحسين بدائل النقل، ومراقبة انعكاس تكاليف الوقود على الخدمات، وتوضيح نتائج التحقق من الشكاوى. فالمعيار المعيشي للزيادة ليس عدد الفلوس المضافة إلى اللتر، بل حصتها من الراتب وما تتركه للأسرة حتى نهاية الشهر.

يوم المعلم العالمي:
العدالة المنسيّة في قطاع التعليم الخاص

احتفلت مملكة البحرين، ممثلةً في وزارة التربية والتعليم وجميع المؤسسات التعليمية، في الخامس من أكتوبر بيوم المعلم العالمي، الذي أُقرّ رسمياً عام ١٩٩٤ برعاية منظمة اليونسكو. ويصادف هذا اليوم الذكرى السنوية لاعتماد توصية اليونسكو ومنظمة العمل الدولية لعام ١٩٦٦ بشأن أوضاع المدرسين وحقوقهم ومسؤولياتهم. ولا شك أن الهدف الأساسي من هذا الاحتفال هو تقدير الدور العظيم الذي يؤديه المعلمون في بناء الأجيال، ومناقشة سبل دعمهم وتحسين ظروف عملهم وتعزيز مكانتهم في المجتمع، بما يشمل تحسين أوضاعهم المهنية، والارتقاء بمستويات أجورهم، وضمان التقدير المادي والمعنوي لجميع العاملين في قطاع التعليم.

وهذا ما يستدعي وقفة جادة من جميع الأطراف، بما فيها الجهات التنفيذية والمؤسسات الأهلية والمجتمعية، لا سيما فيما يتعلق بالعاملين في القطاع الخاص، حيث يواجه معلمو هذا القطاع العديد من التحديات البارزة، من أبرزها:

ضعف الأجور:

وفقاً لبيانات وزارة التربية والتعليم لعام 2023، بلغ عدد العاملين في مهنة التعليم بالقطاع غير الحكومي (القطاع الخاص) 8،439 معلماً ومعلمة، بواقع 7،362 معلمة و1،113 معلماً. وتشير إحصائيات هيئة تنظيم سوق العمل إلى أن متوسط الأجور في هذا القطاع يبلغ نحو 666 ديناراً للبحرينيين العاملين في هذا القطاع، وهو ما يكشف عن تفاوت ملحوظ في مستويات الأجور، ويثير تساؤلات بشأن العدالة في تقدير جهود المعلمين، خصوصاً عند المقارنة بالعاملين في القطاع الحكومي، الذين تبدو ظروف عملهم وساعات دوامهم أفضل بكثير.

المفاهيم المغلوطة حول الكفاءة البحرينية:

تترسخ لدى بعض إدارات المؤسسات التعليمية الخاصة وأصحابها مفاهيم خاطئة تقوم على افتراض أفضلية المعلمين الأجانب على الكفاءات البحرينية في التدريس عموماً، وفي تدريس المناهج الأجنبية خصوصاً. ومع الأسف هناك شريحة غير قليلة من المواطنين وأولياء الأمور تنطلي عليهم هذا الافكار المغلوطة، وهو تصور يستدعي المراجعة والتصحيح، إذ لا يمكن اتخاذ الجنسية معياراً للحكم على الكفاءة المهنية أو أساساً للمفاضلة بين المعلمين.

فالمعلم البحريني لا يقل كفاءة عن المعلم الأجنبي، بل يمكن أن يتفوق عليه متى أتيحت له الفرصة العادلة، وحصل على التدريب والتأهيل المناسبين. فالكفاءة في التدريس ترتبط بالمؤهلات العلمية والمهارات المهنية والخبرة والتطوير المستمر، ولا ترتبط بجنسية المعلم. ومن ثم، فإن الأولى هو منح الكفاءات البحرينية فرصتها المستحقة لإثبات قدراتها، والاستثمار في تدريبها وتأهيلها، بدلاً من التقليل من إمكاناتها أو تفضيل المعلم الأجنبي عليها دون الاستناد إلى معايير موضوعية.

وهذا يتطلب موقفاً واضحاً من الجهات المعنية في وزارتي العمل والتربية والتعليم، إضافة إلى صندوق العمل (تمكين)، الذي ينص قانون تأسيسه على هدف أساسي يتمثل في تمكين المواطن البحريني ليكون الخيار الأمثل والأنسب للتوظيف في سوق العمل. كما تمثل هذه القضية مسؤولية مجتمعية تستدعي تصحيح المفاهيم السائدة بشأن قدرة البحريني على استيعاب العلوم والمهارات والإبداع فيها، بما في ذلك مهارات التدريس والتعليم في مختلف المراحل والقطاعات، بدءاً من رياض الأطفال وصولاً إلى أعلى المراكز والتخصصات الجامعية.

ممارسات التمييز الوظيفي:

تعمد بعض المدارس الخاصة إلى توظيف البحرينيين بمسمى «مساعدي مدرسين»، على الرغم من امتلاكهم مؤهلات علمية لا تقل شأناً عن مؤهلات زملائهم غير البحرينيين الذين يُعيّنون مدرسين أساسيين. ويمثل هذا الوضع شكلاً من أشكال التمييز الوظيفي الذي يتعارض مع مبدأ تكافؤ الفرص، ويتنافى مع القوانين والمبادئ التي تحظر التمييز في مجال العمل بمملكة البحرين.

إن هذه التحديات ليست سوى غيض من فيض، ومن أجل أن يحقق يوم المعلم العالمي مراميه وأهدافه في إرساء العدالة والإنصاف للعاملين في هذا القطاع، لا بد من تضافر الجهود المشتركة بين جميع الأطراف المعنية. فإلى جانب الدور المحوري للجهات الرسمية، وفي مقدمتها وزارتا العمل والتربية والتعليم وصندوق العمل (تمكين)، تقع مسؤوليات لا تقل أهمية على عاتق مؤسسات المجتمع المدني، وفي مقدمتها التنظيمات والاتحادات النقابية، التي تُعد حماية حقوق العاملين في هذا القطاع والنهوض بأوضاعهم المهنية والمعيشية في صميم أهدافها وواجباتها.

كما تتكامل هذه الجهود مع دور المؤسسات الفكرية والثقافية والصحافة في دحض المفاهيم المغلوطة السائدة لدى قطاع غير قليل من المواطنين بشأن قدرة الكفاءة البحرينية على تحمل مسؤولية التعليم والإبداع فيه بجدارة واقتدار.

فلاح هاشم

آن الأوان لإعادة النظر في مفهوم أفضلية المعلمين الأجانب على المعلمين البحرينيين

معارض الكتب .. والبحرين التي غاب معرضها

في الوقت الذي تتسابق فيه مدن العالم على استضافة معارض الكتب الدولية، وتتنافس على تحويلها إلى منصات ثقافية واقتصادية وسياحية واستثمارية، نجد أنفسنا في البحرين أمام سؤال محيّر، وربما محرج، أين ذهب معرض البحرين الدولي للكتاب، وأين اختفت تلك التظاهرة الثقافية التي كانت، على مدى سنوات، موعداً ينتظره المثقفون والكتّاب والناشرون والقراء في البحرين وفي العديد من البلدان، وتتنفس من خلالها الحياة الثقافية البحرينية هواءً مختلفاً؟ هل دخل المعرض غرفة الإنعاش ثم غادرها إلى مثواه الأخير، من دون إعلان وفاة، ولا حتى بيان يشرح أسباب الغياب؟، أم أن هناك من لا يزال يعتقد أن معارض الكتب مجرد مناسبات لبيع المطبوعات، يمكن الاستغناء عنها في زمن الكتب الإلكترونية والهواتف الذكية؟

خليل يوسف

لعل أحدث ما يدفعنا إلى إثارة هذا السؤال هو الإعلان عن الدورة الخامسة والأربعين لمعرض الشارقة الدولي للكتاب، المقرر إقامتها خلال الفترة من 4 إلى 15 نوفمبر المقبل، تحت شعار «من صنع الحكايات»، بمشاركة 2673 ناشراً وعارضاً من 124 دولة، واستضافة 106 مبدعين وأدباء من 25 دولة، وتنظيم الكثير من الفعاليات الثقافية والإبداعية والفنية، أرقام لا تعكس مجرد اتساع معرض للكتاب فقط، بل الأهم أنها تكشف عن صناعة ثقافية متكاملة، وعن رؤية أدركت مبكراً أن الاستثمار في الكتاب ليس استثماراً في الورق والحبر وحدهما، وإنما في المعرفة والثقافة والإنسان والاقتصاد والمكانة الدولية.

معارض الكتب الدولية واصلت بنجاح حضورها الفاعل في دول المنطقة، ليس مجرد نجاح تنظيمي يتكرر كل عام، بل تجربة تستحق التأمل في كيفية تحويل معرض للكتاب إلى مشروع مستدام، له امتداداته في صناعة النشر والترجمة والطباعة والتوزيع وحقوق الملكية الفكرية، وفي تنشيط الفنادق والمطاعم ووسائل النقل والأسواق والخدمات اللوجستية والإعلامية، فكل ناشر يصل من الخارج يحتاج إلى إقامة وتنقل وخدمات، وكل زائر ينفق، وكل صفقة حقوق نشر تفتح باباً اقتصادياً جديداً، وكل فعالية ثقافية تضيف قيمة إلى الدولة المستضيفة.

هنا تحديداً نصل إلى ما يمكن تسميته اقتصاد معارض الكتب، وهو اقتصاد لا تُقاس قيمته بعدد النسخ المباعة عند منصات العرض، بل بحجم النشاط الذي يتحرك حول المعرض، وبالفرص التي يخلقها، وبالشراكات التي يؤسسها، وبقدرته على استقطاب الزوار والاستثمارات وصناعة المعرفة، والترويج السياحي. إن معرض الكتاب الناجح لم يعد سوقاً موسمية للكتب، وإنما بات جزءاً من الاقتصاد الإبداعي، ذلك الاقتصاد الذي أصبحت دول عديدة تنظر إليه باعتباره مصدراً للنمو والتنويع وخلق فرص العمل، ولعل المفارقة أن بعضنا لا يزال يناقش جدوى إقامة معرض للكتاب بمنطق المصروفات المباشرة، فيسأل: كم يكلف تنظيمه، وكم يبلغ عائد المعرض؟ بينما السؤال الاقتصادي الصحيح هو: كم يضيف المعرض إلى الاقتصاد الوطني؟ وكم فرصة عمل مؤقتة ودائمة يوفرها؟ وكم ناشراً ومؤلفاً ومترجماً ومصمماً ومؤسسة صغيرة يستطيع أن يدعم؟ وكم زائراً يمكن أن يجذب؟ وكم اسماً بحرينياً يستطيع أن يقدمه إلى الأسواق العربية والعالمية؟

تلك الأسئلة وغيرها ليست ترفاً ثقافياً، وإنما أسئلة تنموية بامتياز، خصوصاً بالنسبة إلى بلد مثل البحرين، يمتلك تاريخاً عريقاً في التعليم والصحافة والطباعة والنشر والعمل الثقافي، ويضم كتّاباً ومبدعين ودور نشر ومؤسسات ثقافية وشباباً لديهم القدرة على الإبداع والإنتاج، فكيف نقبل أن تغيب عن هذا المشهد تظاهرة دولية يفترض أن تكون إحدى واجهاته الأساسية؟ وإذا كان من الإنصاف الاعتراف بأن تنظيم المعارض الدولية الكبرى يحتاج إلى موارد مالية وإدارية وتسويقية، فإن من حقنا أيضاً أن نسأل: هل عجزنا عن إيجاد نموذج تمويلي مستدام لمعرض البحرين الدولي للكتاب؟، وهل جرى التعامل معه باعتباره عبئاً على الموازنة، بدلاً من اعتباره فرصة لاستقطاب الرعايات والاستثمارات والشراكات؟ ولماذا لا يكون للقطاع الخاص، وفي مقدمته البنوك والشركات الكبرى والمؤسسات المعنية بالمسؤولية الاجتماعية، دور في ضمان استمراره، ضمن شراكة واضحة تحافظ على رسالته الثقافية؟ وتزداد مشروعية هذه الأسئلة وغيرها حين نتذكر أن المعرض البحريني شهد محاولات للعودة، لكنها لم تتحول إلى استمرارية منتظمة، وأن موعداً كان مطروحاً لإقامته في عام 2025 لم يتحقق، فيما لا يظهر إعلان عن موعد جديد مؤكد له في جدول الفعاليات الرسمية المستقبلية، ومن المهم هنا ألا نكتفي بالسؤال عن موعد المعرض المقبل، بل أن نسأل عن الأسباب التي جعلت هذا الحدث الثقافي يغيب كل هذه السنوات، وعن الجهة التي تتحمل مسؤولية إعادة الحياة إليه..!

إن البحرين التي استثمرت في البنية التحتية للمعارض والمؤتمرات، وتمتلك مركز البحرين العالمي للمعارض، وتعمل على تعزيز مكانتها في سياحة الأعمال واستضافة الفعاليات الدولية، يفترض أن تجد في معرض الكتاب فرصة طبيعية لتوسيع هذا النشاط، فما الذي يمنع أن يكون معرض البحرين الدولي للكتاب جزءاً من أجندة سياحية وثقافية واقتصادية سنوية، وأن يرتبط ببرامج لاستقطاب الناشرين والكتّاب والمترجمين، وأن يفتح أبوابه أمام المدارس والجامعات والأسر والمؤسسات الصغيرة والمشروعات الشبابية؟

المسألة تتجاوز المعرض نفسه إلى سؤال أكبر عن مستقبل الصناعات الثقافية في البحرين. أين موقع النشر البحريني من الأسواق الخليجية والعربية؟ وما حجم الدعم الذي تحصل عليه دور النشر المحلية؟ وما الفرص المتاحة أمام الكاتب البحريني لتسويق إنتاجه وترجمته وتوزيعه خارج الحدود؟ وهل لدينا رؤية لتحويل الثقافة من نشاط يعتمد على المخصصات والفعاليات الموسمية إلى قطاع منتج، قادر على الإسهام في الاقتصاد الوطني؟

لقد أصبح الحديث عن الاقتصاد الإبداعي جزءاً أساسياً من النقاش التنموي العالمي، ولم تعد الصناعات الثقافية محصورة في الفنون والآداب بمعناها التقليدي، بل امتدت إلى التصميم والمحتوى الرقمي والإنتاج السمعي والبصري والترجمة والنشر الإلكتروني والكتب الصوتية. فالمعارض الناجحة تحاول مواكبة هذا التحول بدلاً من الاكتفاء بعرض الكتب على الأرفف.

واصلوا ما بدأتم به

في ظل وضع ساكن (مكانك راوح)، نأسف لما آل إليه الحال، بعد أن كانت روح المشورة والاقتراح قائمة. في مرحلة بدء الألفية الثانية، حيث كانت هناك خطط وبرامج لأجل التطور الاجتماعي، سعياً إلى رؤية تنموية في سبيل بناء اقتصاد قائم على هيكلية سياسية جادة، وكان لوزارة العمل والعمال بصمة جادة في مشروع جاد لتوظيف ٤٥٠٠ جامعي، الذي دشّنه سمو ولي العهد. ومن ثم، فإن هيئة تنظيم سوق العمل، بالتعاون مع وزارة العمل، لن تعطي تراخيص إلى أي منشأة إذا لم يحدد صاحب المنشأة بعض الوظائف العليا للعمالة المواطنة، حيث كان الجديد آنذاك أن القائمين عليه بحرينيون ١٠٠٪، فالوزارة استفادت من تجاربها السابقة وتجارب الآخرين في توظيف العاطلين.

صحيح أنّ هناك نسبة كبيرة كانت تحتاج إلى صقل مهارات أفرادها بما يلبي احتياجات السوق، لكن جرى الانتباه لهذه المعضلة، إذا أمكن أن نسميها كذلك، فحُدّدت خيارات معينة لكل عاطل، وبناءً على ما يختار من وظيفة، تُحدّد له دورة تدريبية لمدة 6 أشهر لاكتساب مهاراته في هذه الوظيفة، ومن ثم يدخل في دورة لمدة 10 شهور لتهيئته للوظيفة التي سيختارها، وتبدأ المرتبات من 400 دينار، مدعومة بنسبة 50٪ لمدة سنة، وذلك لأن أغلب رجال الأعمال يضعون شروطاً، كما أولوا اهتماماً للذين يطلبون 6 ساعات أو أقل لربات البيوت بما يتناسب وقدراتهن.

وتمّ استدعاء العاطلين إلى وزارة العمل لبدء الترتيبات، بالتركيز على دعم أساسيات السوق في الاهتمام بتدريسهم وتحسين أحوالهم المعيشية، وذلك بالتشاور مع النواب البرلمانيين، وإفساح المجال أمام الاستفسارات التي رُفعت بالتالي إلى الوزير، حيث تبادل النواب والمتداخلون العبارات الودية، وقال البعض إن الوزير آنذاك من الكفاءات الناجحة والكفوءة، والقصد هنا الوزير الأسبق د. مجيد العلوي، حيث استقبل الشكاوى بصدر رحب، عن طريق موظفي الوزارة. كما تساءل أحد أعضاء مجلس الشورى عن مدى تجاوب القطاع الخاص مع المشاريع والبرامج التي أكد عليها الوزير، من حيث الاستجابة والدعم، في ضوء دعم جلالة الملك والحكومة.

كما بادر الاتحاد العام لعمال البحرين وغرفة تجارة وصناعة البحرين، اللذان تقدما بدليل استرشادي لآلية مفاوضات جماعية للعمل على مستوى المنشآت الاسترشادية بين ممثلي الشركات إذا رأت ذلك وممثلي النقابات، لحل النزاعات التي تطرأ من حين إلى آخر في مواقع العمل والمنشآت، حيث أدركت الغرفة مع الاتحاد العام للنقابات أهمية المفاوضات الجماعية في الحوارات بين أطراف العمل، وذلك لوضع أسس وقواعد متينة وعلاقات مستقرة من خلال وضع آلية مشتركة للمفاوضات.

نقف اليوم لنتساءل: ما الذي أصاب هذه الآلية الموفقة التي كانت وجهاً منيراً متوقداً تمنينا لو استمرت، في وضع نحن في أمسّ الحاجة فيه إلى امتصاص التشنجات الآنية، حيث من المفترض أن تجد طريقاً سالكاً للحلول، وقد وُجدت أسس وبرامج وكمٌّ غزير من التشاورات. إن كل ما نعانيه اليوم من تشنجات مستمرة تتطور ما هو إلا نتيجة التقاعس عن وضع حلول وآلية جادة ومسؤولة لوضع بلغ ذروته، حيث نمر بضائقة معيشية مستمرة تتفاقم من حين لآخر، حيث يغرق مجتمعنا في ارتفاع أسعار السلع وعشوائية الأسعار دون رقابة، فكلٌ يبيع ويرفع الأسعار على مزاجه، فبتنا شهود فوضى في السوق دون مراعاة للوضع الذي نمر فيه، حيث البطالة، وارتفاع نسبة العمالة الأجنبية، وتهميش العمالة المواطنة، وارتفاع أسعار الوقود، ونقص بعض الأدوية في المراكز الصحية والمستشفيات، وارتفاع أسعارها في الصيدليات، وهي معضلات تزداد تأزماً يوماً بعد يوم، ويدفع ثمنها المواطن.

لقد استجدت لدينا الآن محن تواكب ما تشهده الساحة الأمنية، حيث نعيش وضعاً غير مستقر، ومن المعروف أن ذلك نتجت عنه إفرازات، منها اتساع العزف على الوتر الطائفي، حيث هناك من انتهز الحدث الأمني المؤسف على هذه الساحة ليبث سمومه الطائفية، معلقاً (همّه) على هذا المشجب. لذا، يتحتم على الجميع المسارعة لنزع هذا الفتيل، لحماية مجتمعنا من مخاطر تداهمه، ولا يمكن أن نختم دون أن نقف على ما يؤرق الجميع منذ سنين، ألا وهو زيادة الـ3٪ السنوية على رواتب المتقاعدين، والتي من المفترض إيجاد حل سريع لها، فالراتب (مكانك راوح)، بينما المعنيون بالأمر لم يحركوا ساكناً إزاء أزمة أفرزت وضعاً خطيراً يعيشه مجتمعنا.

قاسم الحلال

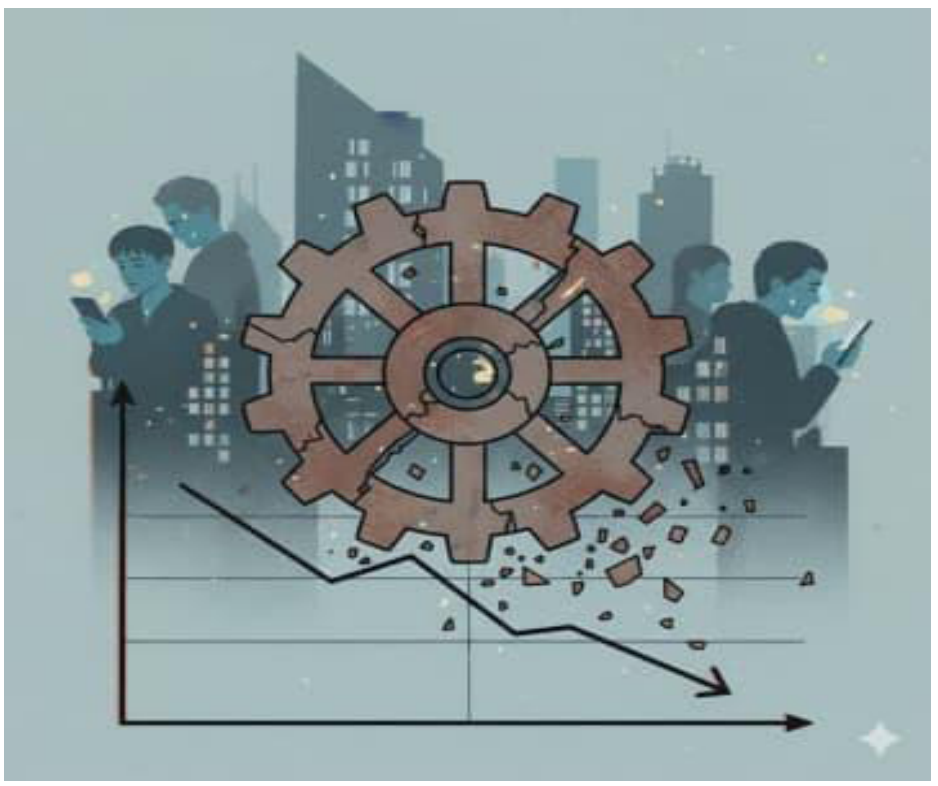

مطلوب إيجاد حل سريع لزيادة ٣٪ على رواتب المتقاعدين

(قف)

الحرية مشكلة الصحافة العربية

حرية الصحافة أحد أهم أشكال حرية الرأي والتعبير، وهي، على حد تعبير الكاتب جودت هوشيار، المحك الحقيقي للحريات الأخرى وأداة سياسية في النقد والمتابعة والرقابة على أداء السلطة التنفيذية، والحرية الحقيقية هي تلك التي تسمح بالنقد الموضوعي وتحري الوقائع وصولًا لإيجاد الحلول لمشاكل المجتمع.
ورغم أن قوانين الصحافة حتى في ظل الأنظمة المنغلقة تنص على حرية النقد، إلا أن هذه الحرية شكلية إلى حد كبير وتبقى حبرًا على ورق أو يوضع لها سقف محدد لا يمكن تجاوزه دون الوقوع تحت المساءلة.

فهد المضحكي

ما ذكرناه يقودنا إلى استحضار مقال قديم للكاتب غسان إمام، وهو صحفي اشتهر بمقالاته السياسية النّاقدة، ويذكر فيه: إن الصحافة العربية ليست مؤسسة مستقلة عن المجتمع الذي تخاطبه. إنها من صميم مؤسساته. وبالتالي، فهي كغيرها من المؤسسات والسلطات إفراز لإيجابياته وسلبياته. الصحافة تزدهر بازدهار المجتمع. عندما تتعطل المؤسسات أو عندما تطغى مؤسسة على مؤسسة أو سلطة على سلطة، فسائر المؤسسات بما فيها الصحافة تعاني من هذا الخلل، وتنكمش وتتضاءل مسؤوليتها وحريتها في أداء عملها.
لا يمكن أن نتجاوز كل الخلل والعيوب في المجتمع ومؤسساته لنركز الاتهام على مؤسسة أو سلطة واحدة. وإذا كانت مشكلة الصحافة هي الحرية في المجتمع العربي، فالمثقف ورجل التكنوقراط والأكاديمي والباحث والمهندس والعالم والطالب والسياسي... لا يمكن أن يطالبوا الصحافي بأن يكون أكثر جرأة وتحررًا في رؤيته السياسية، إذا لم يملك هؤلاء أيضًا الجرأة في التعبير عن رؤيتهم السياسية.
نعم، لا المثقف ولا الأديب ولا المفكر ولا سائر المعنيين بقضية الحرية يعانون من غيابها بقدر ما يعاني الصحافي. الصحافة في تماس يومي مباشر مع السلطة وأكثر أجهزتها تعسفًا وانغلاقًا وخطرًا، لكن الحرية في النهاية مسؤولية وموقف ورؤية. وجرأة الصحافي في ممارسة الحرية تتحول إلى مغامرة دونكشوتية مضحكة لمقاتلة طواحين الهواء، إذا لم يكن المجتمع ككل، أو على الأقل نُخَبُه الواعية المتعلمة، راغبًا في ممارسة حريته السياسية، وقادرًا على التضحية وركوب المغامرة في القول والنقد والمساءلة.
الدول العربية الحديثة منذ ولادتها عانت من خلل جسيم في مبدأ فصل السلطات. في مجتمع فرضت القوة، لا الدستور والقانون، نفسها كأمر سياسي واقع، شرعت السلطة التنفيذية في الزحف تدريجيًا على سائر السلطات والمؤسسات. تآكل استقلال القضاء. اهترأت السلطة التشريعية. ثم حدث ما هو أدهى. فقد جاءت ظاهرة دمج الدولة في النظام السياسي لتقضي نهائيًا على الحريات السياسية والشخصية. الصحافة في الدولة الديمقراطية سلطة. الصحافة العربية أيضًا مؤسسة لا يمكن إنكار وجودها، لكنها كأي مؤسسة اجتماعية أخرى باتت من ممتلكات الدولة أو من ملحقات النظام. تحولت الصحافة من أداة إعلام للإيصال والاتصال مع الرأي العام إلى جهاز دعائي في قبضة السلطة المهيمنة. الدعاية هي فن المبالغة الإعلامية في تصوير حكمة وفضائل وانتصارات النظام السياسي وتغييب واختصار نكساته ومقالبه وأخطائه. الدعاية فن المخاطبة اللاعقلانية لعواطف الناس وغرائزهم لا لقناعتهم ووعيهم. وعندما تفقد الصحافة حريتها، تنهار ثقتها في نفسها وثقة الرأي العام فيها.
في زحف النظام السياسي على الدولة وابتلاعه لها، سجلت المؤسسات تراجعًا في الأداء والكفاءة وجمودًا في التقنية والتطوير، أصبحت الدائرة الحكومية أو المؤسسة العامة في ظل حماية الدولة والسلطة، وفي منأى عن النقد والمساءلة والمراقبة الشعبية، وفي نجاة من المنافسة على الخدمة العامة مع المؤسسات المماثلة والشبيهة. وهذا ينطبق على الصحافة كمؤسسة تابعة للسلطة.
الحديث عن البعدين الاجتماعي والسياسي في مأزق الصحافة العربية يبقى كلامًا نظريًا لعموميات الأزمة، إذا لم يستكمل بالحديث عن البعد الثالث، عن البعد الصحافي، عن مسؤولية الصحافة ذاتها في مأزقها.
الخوض في أزمة الصحافة الرسمية وشبه الرسمية يعيدنا فورًا إلى مسؤولية المجتمع والسلطة في مأزق الصحافة. أزمة الصحافة الرسمية من أزمة المجتمع وأزمة السلطة. مشكلة الصحافة الرسمية هي مشكلة الحرية والديمقراطية في المجتمع العربي. لا يمكن مطالبة الصحافة الرسمية بالانفتاح وتناول السياسة الخارجية والدفاعية مثلًا بدون مطالبة النظام السياسي العربي بإدخال تغيير جذري في تركيبته البنيوية وفي رؤيته السياسية وفي موقفه من قضية الحرية والديمقراطية وفي أسلوب ممارسته السلطة والمسؤولية.
لكن إذا كان، كما يقول الكاتب إمام، التغيير مستحيلًا في ظروف سياسية واجتماعية شديدة الخطر والتعقيد، فيمكن الحديث عن تغيير ما في شكل ومضمون الخطاب الرسمي الإعلامي. لا بد من الاستغناء كليًا عن أسلوب الإعلام الدعائي المباشر. والكف عن تقمص الدور الأبوي المقدس والمرشد والموجه الذي يخاطب الرأي العام من فوق وكأنه جمهور قاصر ومتخلف وعيًا وعقلًا. لا بد من وضع حد لهذا التمجيد لكل خطوة وحركة. لا بد من إسقاط نهائي للغة الخشبية الإنشائية والنظرية التي باتت جامدة ومتينة، واعتماد لغة صحافية أكثر حيوية وواقعية وأقرب إلى الحوار وأشد صلة بالواقع والرقم والتاريخ.
هذا التغيير المنشود في الخطاب الرسمي الإعلامي العربي يمكن إيجاد آلية عملية لتحقيقه من خلال تحرير الصحف والمجلات من الارتباط التام بالمؤسسة الرسمية.

نظام التفاهة: عندما تصبح السطحية طريقًا إلى النجاح

جلال إبراهيم

في حياتنا اليومية نلاحظ انتشار الكثير من الأمور السطحية في الإعلام ومواقع التواصل الاجتماعي والعمل وحتى في التعليم. وقد يبدو الأمر في البداية مجرد تغير في اهتمامات الناس وطريقة حياتهم، لكن الكاتب الكندي آلان دونو يرى أن المشكلة أكبر من ذلك. ففي كتابه «نظام التفاهة» يتحدث عن مجتمع أصبحت فيه التفاهة ليست مجرد سلوك فردي، بل أصبحت جزءًا من طريقة عمل بعض المؤسسات في المجتمع.

لا يقصد دونو بالتفاهة أن الإنسان قليل الذكاء أو أنه لا يمتلك معرفة. فقد يكون الشخص متعلمًا ويحمل شهادات جامعية، لكنه لا يستخدم معرفته في التفكير والنقد، بل يكتفي بأداء ما هو مطلوب منه. لذلك فإن التفاهة، حسب فكرة الكتاب، لا تعني الجهل فقط، وإنما تعني أيضًا غياب التفكير المستقل والابتعاد عن الأسئلة التي قد تسبب الإزعاج.

يرى دونو أن الإنسان الذي يتكيف بسهولة مع النظام قد يحصل أحيانًا على فرص أكبر من الإنسان الذي يحاول انتقاد هذا النظام. فالموظف الذي ينفذ التعليمات دون نقاش قد يكون أكثر راحة للمؤسسة من الموظف الذي يسأل عن أسباب القرارات ونتائجها. وهنا تتحول القدرة على التكيف والطاعة إلى صفات مهمة للنجاح، بينما يصبح التفكير النقدي مصدرًا للإزعاج.

ويظهر هذا الأمر أيضًا في مجال التعليم. فالمدرسة والجامعة يفترض أن تكونا مكانًا لتكوين الإنسان القادر على التفكير، وليس فقط للحصول على الشهادة. لكن الاهتمام بالدرجات والتصنيفات والشهادات قد يجعل الطالب يهتم بالنجاح في الاختبار أكثر من اهتمامه بفهم المعرفة. وقد يصبح الهدف من التعليم هو الوصول إلى وظيفة جيدة، بدل أن يكون وسيلة لفهم الإنسان لنفسه ولمجتمعه.

كما يتحدث الكتاب عن الإعلام الذي أصبح له تأثير كبير في تشكيل اهتمامات الناس. فالأفكار السريعة والموضوعات المثيرة تنتشر بسهولة، بينما تحتاج الأفكار العميقة إلى وقت وتركيز. ومع كثرة الأخبار والمعلومات، أصبح الإنسان يتلقى عددًا كبيرًا من الأفكار في وقت قصير، لكنه قد لا يمتلك الوقت الكافي للتفكير فيها أو التحقق منها.

وتتضح المشكلة بشكل أكبر في مواقع التواصل الاجتماعي، حيث يمكن أن يحصل محتوى بسيط أو مثير على اهتمام واسع، بينما لا يحظى موضوع ثقافي أو فكري بالاهتمام نفسه. وهذا لا يعني أن كل ما هو منتشر على مواقع التواصل تافه، ولكن المشكلة تكمن في أن الانتشار أصبح أحيانًا مرتبطًا بسرعة المحتوى وقدرته على جذب الانتباه أكثر من قيمته الحقيقية.

أما في السياسة، فيرى دونو أن اللغة العامة والعبارات الجاهزة يمكن أن تحل أحيانًا محل النقاش الحقيقي. فبدل الحديث عن المشكلات بشكل واضح، يتم استخدام كلمات كثيرة تبدو جميلة، لكنها لا تقدم دائمًا حلولًا واضحة. ومع الوقت قد يصبح المهم هو طريقة تقديم الكلام وليس مضمون الكلام نفسه.

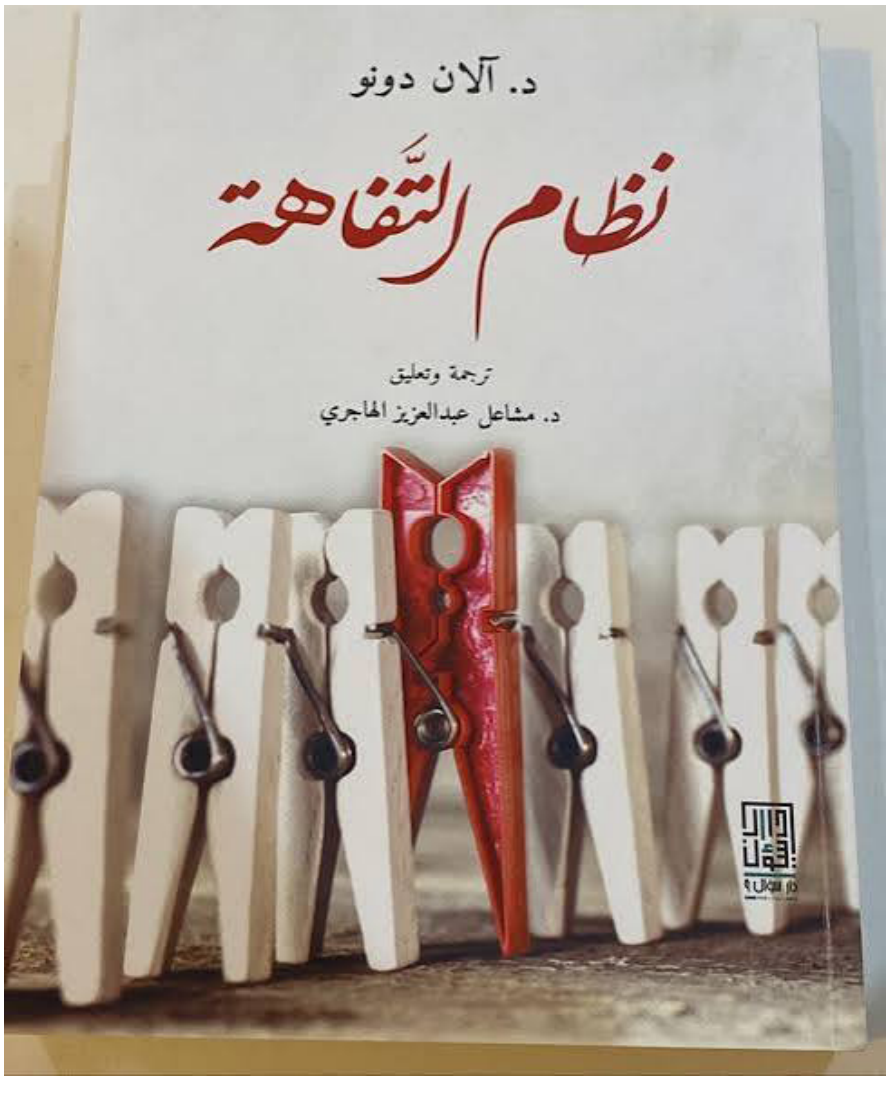

ومن أهم الأفكار التي يمكن فهمها من الكتاب أن التفاهة لا تنتشر بسبب وجود أشخاص تافهين فقط، وإنما لأن بعض الأنظمة والمؤسسات تساعد على انتشارها. فعندما يتم تقدير الشخص الذي لا يعترض، ومكافأة من يجيد الحديث بطريقة ترضي الآخرين، والاهتمام بالأرقام والتصنيفات أكثر من الاهتمام بالمضمون، فإن التفاهة تصبح جزءًا من الحياة اليومية.

إن أهمية كتاب «نظام التفاهة» تكمن في أنه يجعلنا نفكر في معنى النجاح. فهل النجاح هو الحصول على وظيفة أو منصب أو شهادة فقط؟ أم أن النجاح يحتاج أيضًا إلى امتلاك القدرة على التفكير، والاختلاف، وطرح الأسئلة؟ وربما تكون المشكلة الحقيقية عندما يصبح الإنسان مهتمًا بأن يكون مقبولًا وناجحًا داخل النظام، أكثر من اهتمامه بفهم هذا النظام ونقده.

أخيرًا، لا يدعو الكتاب إلى رفض العمل أو المؤسسات أو التعليم، وإنما يدفعنا إلى التفكير في الطريقة التي نستخدم بها هذه الأشياء. فالمعرفة لا قيمة لها إذا لم تساعد الإنسان على التفكير، والتعليم لا يحقق هدفه إذا جعل الطالب يحفظ دون أن يفهم، والنجاح لا يكون كاملًا إذا فقد الإنسان قدرته على السؤال.

وهنا يمكن أن نفهم رسالة الكتاب ببساطة: ليست المشكلة في وجود التفاهة، فهي موجودة دائمًا، وإنما المشكلة عندما تصبح التفاهة طريقًا للنجاح، ويصبح التفكير الجاد والاستقلال في الرأي عبئًا على صاحبه.

إلى ابني .. رسائل مؤجلة إلى المستقبل

ما أجمل أن تصبح المرأة أمًا.

كنت أظن أنني أعرف معنى الحب قبل أن أصبح أمًا، ثم جاء ابني ليخبرني أن للحب وجوهًا أخرى لم أعرفها من قبل، وأن في القلب مساحات لا تُفتح إلا حين تحتضن المرأة طفلها للمرة الأولى. منذ أن جاء إلى حياتي، أصبحت أرى الوقت بطريقة مختلفة؛ صرت أراقب تفاصيله الصغيرة، وأحاول أن أستغل كل لحظة معه، وكأنني أخشى أن تمرّ طفولته أسرع مما أستطيع أن أستوعب.

سوسن حسن

أحيانًا أجلس إلى جانبه وأتأمل وجهه وهو نائم، فأفكر في أن هذه اللحظة، على بساطتها، لن تتكرر أبدًا. سيكبر، وسيتغير وجهه، وستكبر يداه الصغيرتان، وستتبدل طريقة نومه، وضحكته، وكلماته، وربما لن أتذكر يومًا كل هذه التفاصيل الدقيقة التي أعيشها الآن. ولذلك أحاول أن أعيشها بكل حواسي، وأن أحتفظ بها في قلبي قبل أن تحفظها ذاكرتي.

ومنذ أن أصبحت أمًا، بدأت أكره ساعات العمل التي أقضيها بعيدًا عنه. لم أكن أتخيل أن بضع ساعات فقط يمكن أن تجعلني أشعر بهذا القدر من الاشتياق. أكون في العمل، وبين يديّ مسؤولياتي، لكن جزءًا مني يبقى معه؛ أتساءل ماذا يفعل، هل نام، هل ابتسم، هل بحث عني، وهل أدرك أن أمه ليست إلى جواره في تلك اللحظة؟

وهنا بدأت أفهم أمي بطريقة لم أفهمها من قبل.

حين كنا صغارًا، كانت تتركنا وتذهب إلى عملها. كنا نراها تغادر، وربما كنا نشتاق إليها، وربما كنا نغضب أحيانًا لأنها تركتنا، لكننا لم نكن نعرف ما الذي كانت تشعر به وهي تغلق الباب خلفها. لم نكن نعرف أن الأم قد تمضي يومها كله وهي تحمل أبناءها معها في قلبها، حتى وهي بعيدة عنهم. لم نكن نعرف أن الذهاب إلى العمل لا يعني أن قلبها ذهب معها. اليوم فقط، وأنا أم، أستطيع أن أتخيل كم كان ذلك صعبًا عليها.

ولعل أجمل ما تمنحنا إياه الأمومة ليس فقط حب أطفالنا، بل قدرتها على أن تعيدنا إلى طفولتنا نحن، وأن تجعلنا نرى أمهاتنا بعيون جديدة. فجأة نفهم أشياء لم نفهمها ونحن أطفال، ونكتشف أن وراء كثير من صمت أمهاتنا وتعبهن وتضحياتهن قصصًا من الحب لم نكن نملك القدرة على قراءتها آنذاك.

ولأنني أخشى أن تسرق الأيام مني هذه التفاصيل، فكرت في طريقة أحتفظ بها بكل ما أستطيع من طفولة ابني.

طلبت من والده أن ينشئ له حساب بريد إلكتروني خاصًا به، نرسل إليه الرسائل والصور وكل ما نريد أن نحتفظ به من أحداث طفولته. أول صورة، أول ابتسامة، أول كلمة، أول مناسبة، أول عيد، أول رحلة، أول يوم في المدرسة... وحتى تلك التفاصيل الصغيرة التي قد تبدو عادية الآن، لكنها ستصبح بعد سنوات كنوزًا لا تُقدّر بثمن.

وقد لا يقرأ ابني هذه الرسائل الآن، وربما لن يعرف أصلًا بوجودها لسنوات طويلة. لكنني أحب فكرة أن هناك مكانًا صغيرًا في هذا العالم يحفظ طفولته كما عشناها نحن، لا كما سترويها الذاكرة بعد أن تتداخل السنوات.

والأجمل أن هذه الفكرة ليست مجرد وسيلة لحفظ ذكريات طفل؛ إنها، في رأيي، مساحة جميلة تجمع الأب والأم أيضًا.

فكل واحد منا يستطيع أن يكتب لابنه بطريقته. قد يكتب الأب عن أول مرة حمله فيها، وقد أكتب أنا عن ليلة لم أنم فيها وأنا أراقبه، وقد نرسل صورة ونكتب تحتها كيف شعرنا في ذلك اليوم. تصبح هذه الرسائل أشبه بحوار طويل بين أب وأم حول أكثر إنسان يجمعهما حبًا.

وربما لهذا السبب أحببت الفكرة أكثر.

ففي خضم مسؤوليات الحياة، والعمل، والتعب، وانشغال كل منا بتفاصيل يومه، يحتاج الزوجان أحيانًا إلى مساحة تذكّرهما بما يجمعهما. والطفل ليس فقط مسؤولية مشتركة بينهما، بل هو أيضًا قصة حب مشتركة، وذاكرة مشتركة، ومستقبل يكتبانه معًا.

إنها منصة صغيرة للتعبير عن الحب؛ حب الطفل، وحب الأسرة، وحتى الحب الذي يجمع الزوجين من خلال هذا الطفل.

فالأسرة لا تُبنى بالوجود وحده، وإنما بالكلمات أيضًا. بالكلمات التي نقولها، والكلمات التي نكتبها، والكلمات التي نتركها لمن نحب كي يجدها ذات يوم.

وربما سيأتي يوم، بعد سنوات طويلة، يفتح فيه ابني ذلك البريد الإلكتروني، فيجد رسائل من أمّه وأبيه كتبت في زمن كان فيه صغيرًا جدًا، لا يعرف القراءة، ولا يعرف كم كان محبوبًا.

سيرى صورًا لنفسه لم يعد يتذكرها، وسيقرأ كلمات كتبناها ونحن نحاول أن نحتفظ بطفولته قبل أن تهرب منا.

وسيعرف، وربما للمرة الأولى، كم كان حضوره صغيرًا في حجمه... وكبيرًا في قلوبنا.

أما أنا، فسأكون قد احتفظت بشيء آخر أيضًا: بطفولته كما عشتها، وبأمومتي كما شعرت بها، وبكل تلك اللحظات التي مرّت سريعًا ولم أكن مستعدة لأن أودّعها.

فالأطفال يكبرون.

والأمهات يعرفن ذلك جيدًا.

ولهذا نحاول، بكل ما نستطيع، أن نسرق من الزمن بعض الذكريات قبل أن يأخذها معه.

حرية الاعلام في الدولة الأمريكية البلوتوقراطية (٢– ٢)

د. محمد الصياد

«الصحفيون المُشتَرَوْن»

في عام 2014، نشر أولفكوت كتابًا بعنوان «الصحفيون المُشتَرَوْن» (الذين تم شراؤهم)، تحدث فيه عن كيفية سيطرة الساسة ووكالات الاستخبارات ومؤسسات التمويل، على وسائل الاعلام الألمانية؛ وكيف كانت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية (CIA) وأجهزة المخابرات الغربية الأخرى، تدفع أموالاً للصحفيين لتغطية أخبارها في سياق معين. وكالة المخابرات المركزية الأمريكية (CIA) والمخابرات الألمانية (BND) – بحسب أولفكوت – تدفعان رشاوى للصحفيين في ألمانيا لكتابة مقالات دعائية مؤيدة لحلف شمال الأطلسي (ناتو)، ومن لا يمتثل للأجندة المؤيدة للغرب من الصحفيين، يفقد وظيفته الإعلامية. وهذا، كما قال، جزء من نمط أوسع من الفساد الإعلامي الذي سلط عليه الضوء في كتابه. وقد صدرت ترجمة إنجليزية للكتاب تحت عنوان "الصحفيون البغايا المدرجون على قائمة وكالة المخابرات المركزية الأمريكية للرواتب: اعتراف من المهنة» (Presstitutes Embedded in the Pay of the CIA: A Confession from the Profession)5.

الكتاب شكل صدمة للمافيات الاعلامية في أمريكا وأوروبا، وللأجهزة الأمنية الغربية المنغمسة كليا في إدارة وتوجيه الخطاب الاعلامي الغربي. فكان من الطبيعي أن يواجه الكتاب غضبًا ورفضا نزقا من قبل العديد من وسائل الاعلام الغَربية. لأن الواشي «Whistleblower»، انسل هذه المرة من بين صفوف النخبة الصحافية المجندة، ماليا وأيديولوجيا، لخدمة الأجندة الرأسمالية الغربية التوسعية؛ وراح ينشر، من موقع المعايشة والممارسة، غسيلها على الملأ، كما ينطق بذلك اعترافه، الذي أراد به، على ما يبدو، التكفير عن ذنوبه والاستغفار من الأنسانية التي أساء اليها وألحق الضرر بها. يقول أولفكوت: «لقد عملت صحفيًا لنحو 25 عامًا، وتعلمت الكذب والخيانة وعدم قول الحقيقة للجمهور. وبالنظر إلى الطريقة التي تحاول بها وسائل الإعلام الألمانية والأمريكية خلال الأشهر الأخيرة جلب الحرب إلى الشعوب في أوروبا، وجلب الحرب إلى روسيا، فهذه بالنسبة لي نقطة اللاعودة، وسأقف وأقول إنه لم يكن صائبًا ما فعلته في الماضي، التلاعب بالناس، وصنع الدعاية ضد روسيا، وليس من الصواب ما فعله زملائي في الماضي وما يفعلونه اليوم، لأنهم يتلقون رشاوى لخيانة الشعوب، ليس فقط في ألمانيا، بل في جميع أنحاء أوروبا 6.

قبل اصداره للكتاب، كان يُنظر لأودو أولفكوت في ألمانيا وفي بقية المنظومة الغربية الليبرالية/الامبريالية، على أنه صحفي محترم، تميز بعمله لمدة 17 عاما في صحيفة فرانكفورتر ألجماينه تسايتونغ الألمانية العريقة. وقد كان بالفعل على قدر عالي من العلم والثقافة. فهو حاصل على درجة الدكتوراه في فبراير 1987، من جامعة فرايبورغ. وقد كرّس أطروحته للدكتوراه حول استمرارية وتغير السياسات الأمريكية والسوفييتية في الشرق الأدنى والأوسط خلال الفترة بين عامي 1967 و1980. لكن قبل حصوله على الدكتوراه بعام واحد، كان قد أصبح عضوًا في هيئة التحرير السياسية لصحيفة فرانكفورتر ألجماينه تسايتونغ، حيث عمل في قسم السياسة الخارجية حتى عام 2003، كان خلالها مسؤولاً عن تغطية أحداث أفريقيا والدول العربية والأمم المتحدة. وقد عاش بشكل رئيسي في دول إسلامية بين عامي 1986 و1998، بما في ذلك العراق وإيران وأفغانستان والمملكة العربية السعودية وسلطنة عمان والإمارات العربية المتحدة ومصر والأردن؛ وسافر إلى أكثر من ستين دولة. ويبدو أن هذه التنقلات والاقامات في هذه الدول قد ساعدته في تبرير انحيازاته ضد المسلمين ونشر الاسلاموفوبيا.

لكن أولفكوت، قرر فجأة بعد سبعة عشر عاما من العمل الصحفي في صحيفة فرانكفورتر ألجماينه تسايتونغ، التخلي عن وظيفته وافشاء كل ما حدث له في مسيرته المهنية (الصحفية)، وما يحدث بالفعل داخل صناعة الاعلام. فيكشف عن الحيلِ الخادعة وشبكات السلطة السرية داخل وسائل الإعلام، وكيف تستخدم الامتيازات لرشوة الصحفيين وصناع الرأي لتحريف تقاريرهم. كيف يُرسم مسار الفساد من القمة، وكيف يوضع العاملون فيه أمام خيارين، إما أن يجاروه أو ينسحبوا منه. كيف تُجنّد الذراع الطويلة لمكتب صحافة الناتو، وسائل الإعلام لدفع أوروبا لتقديم المزيد من الدعم للحروب الخارجية. فأصحاب وسائل الاعلام النخبوية، يرون أن لهم الحق في التفكير نيابةً عن الناس، وتشكيل الرأي العام بما يتوافق مع أجنداتهم. أما حريتهم الصحفية فهي الحرية في فرض الرقابة على الأخبار. مات أكثر من مليون شخص في العراق وليبيا وسوريا، لأن الصحافة لم تكتفِ بنقل الأخبار الكاذبة، بل اختلقت وروجت للأحداث التي كانت ذرائع للحروب.

يذهب أولفكوت الى ما هو أبعد، بتسمية مئات الصحافيين، والمنظمات التي تمارس نفوذها على الإعلام الألماني بدعاية أحادية الجانب. من هذه المنظمات يذكر أسماء «الجسر الأطلسي» (The Atlantic Bridge)، و«اللجنة الثلاثية» (Trilateral Commission)، و«صندوق مارشال الألماني» (German Marshall Fund)، و«مجلس العلاقات الخارجية» (Council on Foreign Relations)، و«معهد أسبن» (Aspen Institute). كما كشف النقاب عن وكالات الاستخبارات التي تقف وراء جماعات الضغط هذه، وعن أساليب الدعاية التي تستخدمها، مثل المنح التي تغدقها السفارة الأمريكية على مشاريع التأثير على الرأي العام الأوروبي. يقول أولفكوت: لا تتفاجأوا إذا علمتم أن الجواسيس يجلسون ويكتبون مقالات في مكاتب تحرير الصحف لتُنشر فورًا في صفحات الرأي بأسماء صحفيين معروفين أو أيّ صحفيين يتلقون رشاوى مقابل تقاريرهم. ولا تستغربوا إذا أطلعتكم على حقيقة أن "جوائز الصحافة" المرموقة تُمنح للصحفيين المذعنين كترضية ومكافأةٍ لهم على تعاونهم.

يتبع

وسائل الإعلام الغربية رفضت بشدة ادعاءات أولفكوت ووصفتها بالتافهة. ولم يكن أمامها من سبيل لتفادي الاحراج والاحتقار اللذين تعرضت لهما بعد نشر الكتاب، سوى وصمه بالتفاهة في محاولة للتشويش على الوقع النفسي الذي أحدثه الكتاب على الرأي العام الغربي7. تم حظر الطبعة الإنجليزية من كتاب "صحفيون مأجورون" (Bought Journalists) لمدة ثلاث سنوات. وكان مخططٌ صدورها تحت عنوان "صحفيون للإيجار" (Journalists for Hire). رغم ذلك، حصل الكتاب بعد صدوره على 24 تقييما بخمس نجوم من أمازون فقط. وبقي لمدة 18 شهرا على قائمة أكثر الكتب مبيعًا في ألمانيا.

مجلة دير شبيغل التي تعج بالصحافيين الأمنيين الألمان علقت بنفرفزة على الكتاب قائلة: إن "كتاب أولفكوت نُشر من قِبل الناشر الألماني كوب (Copp)، الذي اعتبرته بوتقةٌ لَنظريات المؤامرة. فهو ينشر أعمالاً لخبراء الأجسام الطائرة المجهولة، ولمؤلفين يدّعون أن الأمريكيين دمروا برجي مركز التجارة العالمي بأنفسهم عام 2001. ومع أن كتاب أولفكوت تصدّر قوائم الكتب الأكثر مبيعًا لأشهر، الا أن دير شبيغل اعتبرته مرجعًا لكل من تخلّى عن إيمانه بالإعلام الألماني8.

الهجوم على أولفكوت لم يقتصر على أسياده ورعاته من أوساط النخب الليبرالية/الفاشية الغربية الحاكمة، وإنما شمل أيضا بعض أوساط الرأي العام التي هجته ولم تغفر له العمل الواشي المهم الذي أقدم عليه وفضح به حاشية حكام الغرب الليبراليين/الفاشيين المحسوبة على الاعلام الأمني. بعض هؤلاء اعتبر أنه اعترف بجرائمه كأحمق يبحث عن الخلاص، إنما حتى الغفران لا يمحو الضرر الذي تركه هو وعائلته. الديون لا تُسدد بالاعتذار، وإنه وأمثاله تعلموا الكذب مع مرور الوقت. هو نفسه ألّف، منذ نهاية التسعينيات، العديد من الكتب الأكثر مبيعا، والتي مثّلت بوتيرة متصاعدة مواقف يمينية شعبوية ومعادية للإسلام ومؤيدة لنظريات المؤامرة.

لكن تلك الانتقادات قابلتها إشادات واسعة من قبل عديد الشخصيات والأوساط التي ثمّنت قيمة الكتاب عاليا. الدكتور بول كريج روبرتس "Paul Craig Roberts (مواليد 3 أبريل 1939)، اقتصادي ومؤلف أمريكي، شغل سابقًا منصبا وزاريا فرعيا في الحكومة الأمريكية، اضافة لتدريسه في العديد من الجامعات الأمريكية. وهو من معارضي السياسة الخارجية الأمريكية – علق على كتاب أولفكوت قائلا: "كتابٌ مذهل، أحدث ضجةً كبيرة، بيع منه مليون ونصف مليون نسخة في ألمانيا... يُبدد الوهم بوجود صحافة مستقلة في أي مكان في العالم الغربي... يعمل الصحفيون كدعاة ووكلاء علاقات عامة لوكالات الاستخبارات والشركات ومنظمات الضغط والسياسيين والسياسة الخارجية الأمريكية... يُجنّد الصحفيون وهم لا يزالون طلابًا... الجميع، من أدنى مراسل إلى أعلى محرر إلى مالكي المؤسسات الإخبارية، متورطون في تمكين النخب من التحكم في السرديات والتفسيرات... العلاقات المحرمة بين الصحفيين ووكالات الاستخبارات والشركات والسياسيين وأهداف السياسة الخارجية الأمريكية، منتشرة على نطاق واسع لدرجة أن أحدا لا يكترث بها... مع خضوع وسائل الإعلام الغربية، تصبح الديمقراطية والحكومة المسؤولة مستحيلة. مساهمة أولفكوت، هي توضيح ذلك»9.

بدوره كتب الكاتب الأمريكي ستيفن ييتس "Steven Yates"، من أمازون.كوم: "لقد قدّم أودو أولفكوت للصحافة الغربية ما قدّمه جون بيركنز "John Perkins" في مؤلفه الأكثر مبيعا "اعترافات قاتل صحفي محترف "Confessions of a Journalistic Hit Man"...لتنويرنا حول كيفية تصميم وتنفيذ سياسات التنمية الاقتصادية في ما تُسمى الدول النامية»10.

مارك كارلسون من أمازون.كوم أيضا، كتب معلقًا على أهمية كتاب أودو كونستانتين أولفكوت بما يلي: إنه كتابٌ لا غنى عنه لكل من يفكر بنفسه. كثيرًا ما يُقتبس عن مارك توين: "إذا لم تقرأ الجريدة، فأنت جاهل. وإذا قرأت الجريدة، فأنت مُضلّل". لكن أودو أولفكوت يشرح بدقة سبب ذلك وكيفية حدوثه. تحية للناشر لترجمته هذا الكتاب المهم إلى الإنجليزية. قراءته ستجعلك مُشاهدًا أكثر نقدًا للأخبار»11. ومن أمازون.كوم كتب Biplane Bob معلقًا على الكتاب: "لقد تحولت وسائل الإعلام الغربية الى ناشطين سياسيين يستخدمون مناصبهم الإعلامية ليس لتقديم التقارير، بل لشن حملات ضد معارضي عملائهم المريبين المُفسدين»12.

يُشير أولفكوت إلى العديد من الممارسات الفاسدة والمُفسدة والشريرة التي تُسبب التحيز في التقارير الصحفية. وتتراوح هذه الممارسات بين الانتماءات الشخصية (مثل حب رئيس تحرير صحيفة بيلد لتركيا) والمواقف المُتزعزعة (مثل ديكتاتوريات العالم الثالث وجهود الشركات متعددة الجنسيات لمنح الصحفيين هدايا فاخرة وإجازات). ثم يُشير أولفكوت إلى كيفية قيام وكالات الاستخبارات، مثل وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، أو منظمات "الصداقة" الدولية مثل "جسر الأطلسي"، بالتلاعب بالأخبار لتحقيق أهداف الناتو، مثل تطويق روسيا. وقد وضع أولفكوت علامات استفهام كبيرة حول اجتماعات مجلس العلاقات الخارجية "Council on Foreign Relations (مركز أبحاث أمريكي متخصص في السياسة الخارجية الأمريكية والعلاقات الدولية)، ومجموعة بيلدربيرغ "Bilderberg Group" (نخبة منتقاة بعناية من كبار ساسة ورجال الأعمال الغربيين يجتمعون سنويا منذ 1954 بصورة سرية لمناقشة قضايا عالمية حساسة). فيقول بأن من السخافة بمكان الاعتقاد بأن هؤلاء الأشخاص يجتمعون فقط لتحقيق أهداف نفعية كتعظيم سعادة العالم. هذه النخبة تسعى، كما يقول، للسيطرة على العالم. بل إن معظم هذه المنظمات تعمل كشبكات نفوذ لشخصيات وشركات قوية (بالفعل).

ينبع انزعاج أولفكوت في الغالب من الصحفيين الذين يتعاونون مع هذا النظام، وليس من المنظمات نفسها.

*****

شراء الذمم

في عملية تصفية حسابات بين مراكز القوى التي تتوزع على جناحي السلطة الحاكمة في الولايات المتحدة (الحزب الديمقراطي والحزب الجمهوري)، كشف قيام مجموعة ترامب في أوائل عام 2025 بتصفية عدد من مؤسسات، أو أوكار، الدولة المجيرة لصالح الحزب الديمقراطي، ومنها «الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية» (USAID)، عن فضائح كبرى، شملت شراء نجوم هوليوود، وشراء ذمم منظمات مجتمع مدني ونشطاء سياسيين وحقوقيين في كافة بلدان العالم. كما شملت شراء صحفيين ومؤسسات صحفية عريقة. فقد فضحت المستندات التي كشف النقاب عنها في إطار حرب نشر الغسيل بين الخصمين المتنافسين، عن أبشع الطرق لاستغلال العالم، منها تلقي وكالة أنباء رويترز البريطانية مبلغ 9،147،532 ملايين دولار من وزارة الدفاع الأمريكية مقابل ضلوعها في مخططات الهندسة الاجتماعية والخداع الاجتماعي. فقد كشفت تحقيقات وزارة الدفاع الأمريكية عن مدفوعات غامضة قدمتها الوزارة لرويترز مقابل مشروع "خداع اجتماعي واسع النطاق" بين عامي 2018 و2022؛ وإن رئيس رويترز نفسه، أندرو مارشال ماكجريجور، ظل يتقاضى راتبا نظير تستر وكالته على جرائم الاحتلال الأمريكي البريطاني للعراق، ولنشاطه الاعلامي الهدام في تايلند. ★تلقّت رويترز ملايين الدولارات من الحكومة الأمريكية مقابل خداع اجتماعي واسع النطاق//الرد. هذا حرفيا ما هو مذكور في طلب الشراء (المصدر: USASpendingGov). ومن بين ما كُشف عنه النقاب أيضا، عمل مجلة دير شبيغل الألمانية مقابل المال، لصالح كلّ من جهاز المخابرات الألماني (BND)، ووكالة المخابرات المركزية (CIA)، وتلقيها حصة من مليار دولار أُنفقت لتشويه صورة الصين.

*****

كيف خدعت
سي.آي.أيه. نخبة كتّاب العالم

يقول الفيلسوف وعالم اللسانيات الأمريكي، نعوم تشومسكي: "عندما تنجَح الدعاية بهذا القدر، لا يعود الناس يتساءلون عما إذا كانوا يتعرضون للكذب، بل يصدقونه فحسب».

تشكل الميديا الأمريكية، بكل أنواعها المرئية والمقروءة والمسموعة، جزءً أصيلا لا يتجزأ من النظام السياسي الأمريكي ومؤسساته المتفرعة والمترامية الأطراف.

يتبع

وهي بهذا المعنى مؤسسة قائمة وفاعلة في وضع أصول اللعبة السياسية واللعبة الديمقراطية، بما في ذلك طريقة انسياب القرار وتجزئة وتفريع وتوزيع الأدوار على كافة مراكز القوى النافذة والمحركة لديناميات الحياة الأمريكية، السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

وفي خضم هذا التشابك المعقد للمصالح والمؤطر قانونيًا ومؤسسيًا، يُروى الكثير من القصص المثيرة حول علاقة أجهزة الميديا، المرئية والمقروءة، بالمنظومة الأمنية المتشكلة من سبعة عشر جهازا أمنيا، وتحديدا منها الأقوى شوكة والأكثر عراقة وهي وكالة المخابرات المركزية الأمريكية "سي.آي.أيه.". في شهر مارس 2017 أجرى روبرت شير رئيس تحرير موقع «تروث ديغ» الأمريكي مقابلة مع جويل ويتني الكاتب الأمريكي وأحد مؤسسي مجلة «غورنيكا» حول كتابه الجديد «المخبرون: كيف خدعت الـ سي.آي.أيه. نخبة كتّاب العالم"13. لقد تحدث مؤلف الكتاب باستفاضة عن أسماء كبيرة لامعة اعتبرها من أفضل العقول التي خرّجتها الجامعات الأمريكية العريقة مثل هارفارد وييل، ممن أغوتهم السي آي أيه واستدرجتهم، سواء بالمال أو بالدعم، للمشاركة بأقلامهم في ما أسمته بمعركة كسب العقول والأفكار مع الاشتراكية إبان الحرب الباردة. وشمل ذلك كبريات الصحف والمجلات الأمريكية والبريطانية والفرنسية العريقة. وفي معرض حديثه يروي جويل ويتني كيف أن البريطاني كريستوفر مونتاغو وودهاوس، الرأس المدبر للانقلاب على محمد مصدق في يونيو 1953، كان يعمل لصالح وكالة المخابرات الأمريكية سي آي أيه في مجلة "إنكاونتر" اللندنية التي تملكها الوكالة، والتي وظفت البريطاني ستيفن سبندر الذي كان يقبض سرًا من الحكومة البريطانية، فيما كان الأمريكي إيرفينغ كريستول يقبض بصورة غير مباشرة من السي آي أيه. وقامت الوكالة بتعميم تجربة مجلة "إنكاونتر" في باريس وروما وعديد العواصم الأوروبية، ربما كانت أشهرها "باريس ريفيو" التي استقطبت عديد الكتاب من بينهم عملاء سابقون للسي آي أيه مثل جورج بليمبتون الذي نجح في تأمين مخصصات انفاق السي آي أيه على هذه المطبوعات من خلال الكونغرس عبر نافذة ما سمي آنذاك "دعم الحرية الثقافية".

المقابلة حافلة بالأحداث المثيرة والأسماء الصحفية اللامعة التي وقع خداعها أو إغوائها للانخراط في ما سُمي برنامج "عملية موكينغ بيرد" (Mockingbird) الذي استقطبت بموجبه السي آي أيه حوالي 3000 من الكتاب ورؤساء تحرير الصحف والناشرين ووضعتهم على كشوف مرتباتها. وقد قاد عملية التضليل الاعلامي فيليب غراهام الكبير، الناشر السابق لـواشنطن بوست أيام الحرب الباردة. بل إن الكاتبين الأمريكيين جيفري كلير وألكسندر كوكبيرن يشتبهان في دور وشاية قامت به الصحيفة تواصلا مع السي آي أيه، أفضى لتدمير حياة الصحفي والكاتب الأمريكي اللامع غاري ويب في عام 1996 (بعد سقوط الاتحاد السوفييتي وانتهاء الحرب الباردة افتراضًا)، بسبب تحقيقاته المثيرة حول تورط السي آي أيه مع مليشيات "الكونترا" اليمينية المسلحة في تجارة المخدرات لتمويل حرب "الكونترا" في ثمانينيات القرن الماضي، التي استهدفت اسقاط نظام الساندينيستا في نيكاراغو. حيث أدت حملات التسقيط التي شنتها واشنطن بوست على غاري ويب الى تحطيم مهنته ودفعه الى الانتحار في 10 ديسمبر 2004. والمثير أنه رغم اقرار المحقق العام في السي آي أيه فريدريك هيتز فيما بعد بصحة تقارير الكاتب والصحفي غاري ويب، إلا أن الصحيفة لم تعتذر عما اقترفته من جريمة قذف وتسقيط بحق أحد أعظم وأجرأ الكتاب الصحفيين الأمريكيين.

في عام 1996 حين تسلم جورج بوش الأب إدارة السي آي أيه من سلفه وليم كولبي، أعلنت الوكالة رسميا ما يلي: "اعتبارا من الآن وفورا، سوف لن تدخل السي آي أيه في أية علاقة مدفوعات مالية، سواء بوقت كامل أو عمل جزئي، مع الصحفيين المراسلين المجازين من خدمات الأخبار الأمريكية والصحف والدوريات والراديو وشبكات ومحطات التلفزة"، وذلك في وقف مفاجيء لممارسة دأبت عليها الوكالة منذ عام 1947.

فهل تم العمل بهذا التعهد وهذا التوجيه فعلاً؟

ليس تمامًا، لأن ذلك سيكون ضد المنطق، منطق الصراع الممتد بين القوى العظمى، بين الولايات المتحدة خصوصا والقوى المنافسة والمنازعة لها على السيادة العالمية. فمن غير المتصوَّر أن تفرط القوى الممسكة بتلابيب السلطة في الدول العظمى في الأدوار الجوهرية التي يلعبها الاعلام ورواده المحترفين في ذلكم الصراع العنيف. فكان أن استمرا في تأدية أدوارهما الموكلة اليهما، بما في ذلك عبر التعاقدات السرية مدفوعة الأجر، وذلك برسم ما تضمنه اعلان السي آي أيه آنف الذكر، من أن «السي آي أيه ستظل ترحب بالمتطوعين من الصحفيين غير مدفوعي الأجر». بل إن استمرار السي آي أيه في التعاقد السري مدفوع الأجر مع الصحفيين تم توثيقه جزئيا للفترة التي أعقبت اعلان تعهدها بالتوقف عن هذه الممارسة في عام 1947. ففي عام 1977 عاد «كارل بيرنشتاين»، صحفي التحقيقات في الواشنطن بوست الذي اشتُهر مع زميله بوب وودوارد في الكشف عما عُرف بفضيحة «ووتر غيت» في عام 1972 – عاد لتسليط الأضواء على هذا الموضوع في مجلة «رولنغ ستون»، حيث أكد في تحقيقه الصحفي، إن أكثر من 400 صحفي حافظوا على صلات خاصة مع السي آي أيه خلال الفترة من 1956 الى 1972. وفي عام 1997 أكد أحد أبناء كبار مسؤولي السي آي أيه بشكل قاطع لأحد مواقع الانترنيت الأمريكية الليبرالية، من دون كشف هويته، بأن الصحفي (ذكر اسمه) كان ضمن كشف السي آي أيه لصرف المرتبات.

في كتابه «التاريخ السري للسي آي أيه» (Secret History of the CIA) المنشور عام 2001، أوضح "جو ترينتو" كيف قام مسؤول السي آي أيه فرانك ويزنر بإنشاء برنامج أسماه "موكينغ بيرد" (Mockingbird)، أي الطير المحاكي، في خمسينيات القرن الماضي، وكيف قام بتوظيف فيليب غراهام من واشنطن بوست لإدارة هذه العملية. يقول جو: "إن أهم صحفي كان يعمل بتوجيه من عملية موكينغ بيرد، كان جوزيف آلسوب الذي كانت مقالاته تُنشر في 300 صحيفة مختلفة، إضافة الى صحافيين آخرين مثل ستيوارت آلسوب من نيويورك هيرالد تريبيون، وبن برادلي من نيوزويك، وجيمس ريستون من نيويورك تايمز، وتشارلز دوغلاس جاكسون من مجلة تايم، ووالتر بنكوس من واشنطن بوست، ووليام باغز وهيرب غولد من ميامي نيوز، وتشارلز بارتلت من تشاتانوغا تايمز".

كما يذكر جو ترينتو في كتابه: "إن عملية موكينغ بيرد كان لها تأثير ونفوذ على 25 صحيفة ووكالة أنباء، بما في ذلك نيويورك تايمز، ومجلة تايم، وشبكة سي بي اس. وكان تمويل العملية يأتي من صناديق تمويل مخصصة لمشروع مارشال لإعادة اعمار أوروبا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية. وجرى تخصيص جزء من تلك الأموال لرشوة الصحافيين والناشرين".

الى ذلك أيضا، يؤكد "ألكس كونستانتين في كتابه "موكنينغ بيرد: تخريب الصحافة الحرة بواسطة السي آي أيه"، بأنه في خمسينيات القرن العشرين الماضي كان هناك نحو 3000 عقدا مبرما بمرتبات شهرية مع عاملين في الاعلام تم تجنيدهم لاحقا في أعمال البروباغاندا".

ولعل ما حدث بعد الهزيمة الصادمة لهيلاري كلينتون، مرشحة "الاستابليشمينت" (مؤسسة الدولة العميقة الحاكمة)، في انتخابات الرئاسة الأمريكية عام 2016، من سفور كامل للوجه الحقيقي لتيار الاعلام الرئيسي وكبار صحافييه وكتّابه، و"فزعتهم الدونكيشوتية" للمؤسسة في صراعها المفتوح مع الرئيس ترامب ومجموعته الحاكمة لمنعه من ادخال أي تعديل، مهما كان طفيفا، على "مسلّمات" سياساتها الخارجية تحديدا – يؤكد استمرار العمل "بمدونة" "موكينغ بيرد" المتكاملة والمتناغمة تماما مع "تعاليم" المكارثية.

*****

في مرحلة ما من حياته الصحافية، لم يعد أودو كونستانتين أولفكوت – على ما صار بائناً من دفق وعظيم اعترافاته – يحتمل قذارة عالم الصحافة الذي تمرغت سمعته في طينه، ولا خداعه وتضليله للناس لكل الوقت. فكان لجوئه للحقيقة كملاذ وسبيل لغسل ذنوبه والتكفير عن سوءاتها. الحقيقة هي التي قادته لتوقع اضمحلال وانحدار بلاده (ألمانيا) إذا استمر الشعب الألماني في تلقي معلومات غير مكتملة ومضللة حول القضايا المهمة الحالية والمستقبلية التي تواجهه. ثم جاءت مواقفه المؤيدة لروسيا، والمناهضة للتدخل الأمريكي، والمناهضة للاتحاد الأوروبي، والمناهضة لليورو، والمؤيدة لألمانيا، كتحصيل حاصل لذاك التداعي لـ"لجوئه الأخلاقي" للحقيقة.

كارل ماركس في عصر الذكاء الاصطناعي

هل تنبأ الفيلسوف الألماني بانهيار رأسمالية التكنولوجيا؟

نيكولا أبيه وسايمون بوك

توطئة من أورورا

نشرت مجلة دير شبيغل الألمانية ملفاً رئيسياً في عددها 2026/33 تحت عنوان: "ماركس كان قد تنبه إلى ذلك"، وعنوان فرعي "رأسمالية الذكاء الاصطناعي تهدد وظائفنا"، صدر في أيلول 2026 ، وبما أن النص الكامل للملف محجوب إلا باشتراك في المجلة، كما أن موقع المجلة نفسه يمنع الوصول الإلكتروني إليه، لذلك سنعتمد على الدراسة التي أعدّها كل من نيكولا أبيه وسايمون بوك عن الملف المذكور .

شبح ماركس يحوم فوق سيليكون فالي

تتلاقى ثورة الذكاء الاصطناعي اليوم مع أعمق التناقضات التي صاغها كارل ماركس في نقد الرأسمالية قبل أكثر من قرن ونصف؛ إذ تشير الشواهد كافة إلى أن الطفرة التكنولوجية الحالية تنزع ملكية المعرفة من أيدي البشر لتركزها في أيدي طغمة محدودة من المليارديرات.

يحذر خبراء الاقتصاد والاجتماع، وفي مقدمهم ديفيد أوتور من معهد ماساتشوستس للتقنية (MIT)، من أن الذكاء الاصطناعي لا يكتفي بإلغاء الوظائف التقليدية، بل يعمق الفجوة الطبقية وينزع عرى التماسك الاجتماعي، مضيفين بعداً جديداً لنظرية ماركس حول "تراكم رأس المال" عبر انتزاع فائض القيمة من العمل البشري.

الفصل الأول: «اغتراب العمل» ووهم «نظرية التعويض»

سادت في الأدبيات الاقتصادية التقليدية عقوداً طويلة "نظرية التعويض"، القائلة بأن الثورات الصناعية تُعوض الوظائف الملغاة بخلق فرص عمل جديدة. غير أن الذكاء الاصطناعي يقطع مع هذا المسار؛ فهو ليس مجرد أداة إنتاج، بل آلة تُحل "رأس المال الثابت" مكان "العمل الحي" وتتخذ القرارات بشكل مستقل. يعيش الجيل "Z" (بين 14 و30 عاماً) اليوم حالة صريحة مما أسماه ماركس بـ "الاغتراب" (Entfremdung)، حيث يتعاظم انكماش فرص العمل للمبرمجين والمبدعين، وتراجعت نسبة توظيفهم في القطاعات المعرضة للذكاء الاصطناعي بمقدار 16٪. يقول عالم الاجتماع ماتياس ألبيرت: "مع الذكاء الاصطناعي، يوشك التخبط أن يتحوّل إلى انعدام تام في الآفاق"؛ فالشباب يجدون أنفسهم جردوا من وسائل إنتاجهم الذهنية لصالح خوارزميات صُممت للحلول محلهم.

الفصل الثاني: احتكار «وسائل الإنتاج» والأوليغارشية الجديدة

في قلب هذا التحول، يتحول قادة التكنولوجيا (إيلون ماسك، جينسين هوانغ، وسام ألتمان) إلى طبقة إقطاعية رقمية جديدة تمتك حصرياً وسائل الإنتاج الحديثة: مراكز البيانات الفائقة،

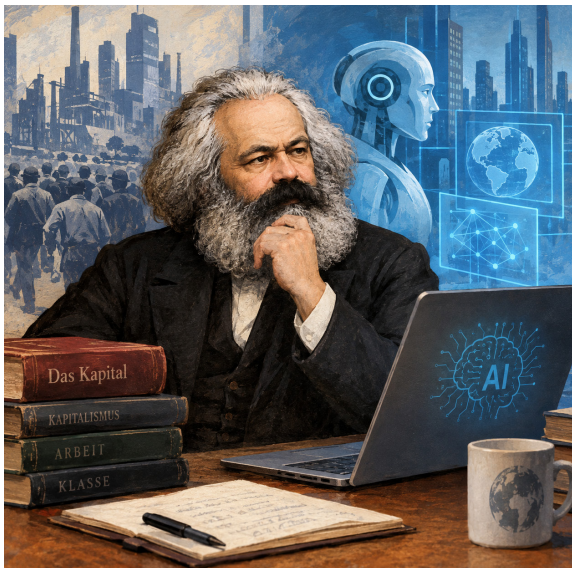

الخوارزميات، والشرائح الرقمية.

تضاعفت القيمة السوقية لشركة "نيفيديا" لتصل إلى خمسة تريليونات دولار، وبلغ تقييم "أنثروبيك" تريليون دولار، لينتقل النفوذ الفعلي من الحكومات المنتخبة إلى هذه الطغمة.

تعيد هذه الهيمنة التذكير بأطروحة الاقتصادي توماس بيكيتي في كتابه "رأس المال في القرن الحادي والعشرين" – القائمة على تحليلات ماركس – حول نمو عائدات رأس المال بمعدل أسرع بكثير من النمو الاقتصادي والأجور.

يوضح بيكيتي أن شركات الذكاء الاصطناعي قامت بأكبر عملية "مصادرة واحتكار" للمعرفية الإنسانية المجمعة عبر الإنترنت، محولة إياها إلى ملكية خاصة في استعادة صريحة لمفهوم "النهب الأولي للرأس مال".

الفصل الثالث: «اللوديون الجدد» وحرب الطبقات الرقمية

أمام هذا التهميش، تتشكل موجة مقاومة ميدانية تعيد إلى الأذهان الصراع الطبقي. يقول أحد المحتجين: "لسنا ضد التكنولوجيا بحد ذاتها، بل ضد الاستيلاء على أمتنا بأكملها ونظامنا الاجتماعي."

في نيويورك ومدن أميركية عدة، يظهر شباب يرفضون التبعية للتكنولوجيا، مثل هينري مايكلسون (23 عاماً) الذي يستخدم هاتفا غبياً (Dumb Phone) خبراً للهرب من هيمنة التطبيقات: "ليس على المرء أن يملك إجابة فورية عن كل شيء في الحياة." يرى هؤلاء أن شركات التكنولوجيا سرقت وقت المجتمع وبياناته وباتت تتصرف كـ "دول ذات سيادة داخل الدولة».

تتسع هذه المقاومة عبر تظاهرات في فلوريدا وأريزونا ضد بناء مراكز البيانات، وتراجع تأييد الشارع الأميركي لبنائها إلى 36٪ فقط. بل إن الغضب تحوّل في بعض الأحيان إلى عنف مباشر، كاستهداف منزل مؤسس "أوبن إيه آي" بقنبلة مولوتوف. وتصنف الاستخبارات الأميركية هذا المنحى ضمن تحذيرات رسمية من صعود «تطرف عنيف مناهض للتكنولوجيا» قد يفجر اضطرابات مدنية عارمة.

الفصل الرابع: «كارل ماركس كان ليستمتع بذلك!»

أمام أزمة إعادة التوزيع، يجد العالم نفسه أمام معضلة ماركسية بامتياز: كيف يمكن للرأسمالية أن تستمر إذا أدى الذكاء الاصطناعي إلى إفقار المستهلكين والقضاء على القوة الشرائية؟

تتعدد الطروحات لتفادي هذا الانهيار:

التأميم والضرائب الراديكالية: يدعو السيناتور بيرني ساندرز إلى تأميم جزئي لرأس مال الذكاء الاصطناعي، بينما يقترح بيكيتي فرض ضريبة تصاعدية فائقة تصل إلى 90٪ على دخل المليارديرات و20٪ على ثرواتهم تُدفع على شكل أسهم في الشركات.

رأس المال الأساسي الشامل (Universal Basic Capital): يقدّم الملياردير نيكولاس بيرغروين طرحاً يقضي بإدخال عناصر اشتراكية لتعديل الرأسمالية؛ عبر منح كل مواطن حصصاً وأسهم مالية مباشرة في شركات الذكاء الاصطناعي عبر صندوق سيادي أو خطط ادخار إلزامية.

هدف هذا الطرح هو جعل المواطنين يملكون جزءاً من وسائل الإنتاج، ومنحهم حقوق التصويت في الجمعيات العمومية لإجبار أباطرة التكنولوجيا على خدمة المصلحة العامة. وهنا يعلق تقرير "دير شبيغل": "المزيد من الاشتراكية لإنقاذ الرأسمالية — لكان كارل ماركس استمتع بذلك للغاية"!

مواجهة السلطة وتحدي الديمقراطية

تدرك السلطات السياسية – حتى في عهد ترامب – خطورة انفلات الذكاء الاصطناعي، مما دفع الكونغرس لدراسة قوانين تتيح وضع «مفتاح طوارئ» لإيقاف الأنظمة الخارقة، غير أن كارتيلات التكنولوجيا تدفع مليارات الدولارات في لجان العمل السياسي (Super PACs) لإسقاط أي سياسي يجرؤ على تشريع قوانين تقيد تحركاتها.

يؤكد المؤرخ في جامعة هارفارد، سفن بيكرت، بالاستناد إلى تاريخ الرأسمالية الممتد، أن هذا النظام ليس قانوناً طبيعياً أبدياً بل تطور تاريخي ولن يكون « الكلمة الأخيرة في تنظيم الحياة الاقتصادية". فالرأسمالية تعايشت مع الإقطاع والعبودية والديمقراطية، لكنها اليوم أمام اختبار جديد: إما إعادة توزيع الثروة وإعادة ملكية التكنولوجيا للمجتمع، أو مواجهة انهيارها الذاتي تحت ثقل تناقضاتها الداخلي، تماماً كما توقع كارل ماركس .

هل تخذل السينما الأدب دائمًا؟

مئــة عــام مــن العزلة بين السينما والنص

في العام ١٩٧٤م حاول المخرج البرازيلي غلاوبر روشا أن يستأذن الروائي الكولومبي غبرييل غارسيا ماركيز في نقل روايته «مئة عام من العزلة» إلى شاشة السينما، إلا أنه أجاب بالرفض. وكرر رفضه في مناسبات عديدة بعدها، معتبرًا أن هذا العمل، الذي كان فاتحة الواقعية السحرية في الأدب العالمي، لا يمكن اختزاله في فيلم سينمائي، دون أن تخذل الصورة المرئية ذلك الفضاء المتخيَّل الذي يفتحه النص على القارئ.

قبل أيام قدم المخرج والكاتب البحريني حسين عبدعلي جلسة حوارية عن المسرح والإخراج، أثناء الجلسة قال أحد الحضور بأنه قرأ في أحد المرات نصًا في غاية البساطة، إلا أنه ذُهل عندما شاهده على خشبة المسرح، لأن الجمال الذي قدمه التمثيل البصري يفوق بساطة النص بكثير. من هنا جاء سؤاله: كيف يمكننا أن نُحوِّل نصًا بسيطًا إلى مشهد رائع؟

لكن من يقرأون نصوصًا أدبيةً يدركون، عندما يشاهدون الأفلام المبنية على تلك النصوص، بأن التحدي الأكبر يأتي من سؤال آخر، هو: كيف نحوّل نصًا عميقًا إلى مشهد يوازيه عمقًا وإبداعًا؟ ورحت أسال: هَل كان المشهد جميلًا في عين السائل، أم أن النص بسيطًا بما يكفي للإحساس بذلك الفارق بينه وبين قدرة الصانع على تحويله إلى مشهد جميل؟

يدرك الكتّاب أن البلاغة تكمن في الحذف. أن تكون بليغًا يعني أن تتحدى نفسك بقول كلام عميق بكلمات قليلة... تلك هي جمالية التكثيف، وأعتقد أن ذلك هو ما يقوم به المخرج عندما يعيد صياغة النص: بصريًا، حركيًا، وسمعيًا. أما الانتقال من نص بسيط إلى صورة حسية أعمق - دون أن أدعي معرفةً عمليةً بما يقوم به المخرجون - إلا أنه منطقيًا يبدو أسهل، ولعلي أكون مخطئًا، لأنك لا تحتاج إلى الحذف بقدر ما تحتاج إلى إضافة. والإضافة أسهل من الحَذف الفَطِن، أو ما يسميه الأدباء: فن الحذف. من مِنكم قرأ رائعة ماركيز التي ذكرناها في البداية دون أن يفهم منها شيئًا؟

شخصيًا قرأتُ «مئة عام من العزلة» قبل سنوات، فكان تقييمي لأعظم الأعمال الأدبية في القرن العشرين بأنه غير مستحق لكل هذا الصيت. لكني مؤخرًا أفكر في إعادة قراءتها بعد أن شاهدت المسلسل الذي أُخرجه المبدعَين «ألكس لوبيز» و «لورا أورتيغا». جعلني المسلسل أعيد النظر في حكمي على الرواية التي يبدو بأني لم أرَها عظيمة، لا لشيء سوى أنها لم تكن مفهومة.

أعاد المُخرجان صياغة العمل دون إخلال بالأفكار الأساسية لماركيز. لقد وضعا يدهما على جوهر العمل، وقاما بحذف ما لا يلزم. قدّما أورسولا بدلًا من خوسيه أركاديو، كشخصية مركزية، بوصفها المرآة التي نرى من خلالها الأحداث. وبيّنا بسحر الواقع في الواقعية السحرية تلك الصورة السوداء للمستعمر الذي يجيء مرتديا جلد الحداثة الأبيض والمنفعة التجارية للآخرين، بينما هو في الأصل يسرق الأرض، وعرق الناس.

قدّم المخرجان صورة واضحة لمعنى تكرار الأسماء في الرواية وتشابهها، فليست الأسماء هي الميراث الوحيد، بل اللعنة التي تجيء معها، وتلك الأخطاء التي قام بها أسلافهم. وأوضحا، بالإضافة إلى ذلك، ما تقوم به كلتا السلطتين، الدينية والسياسية، من تشويه حين تدخلان على قرية وادعة كقرية "ماكوندو».

إنه لمن النادر أن يحوّل صانع الدراما النص الإبداعي إلى تحفة فنية موازية، وللخوف من هذا الخذلان رفض ماركيز أن تتحول روايته إلى الشاشة إلا على شكل مسلسل طويل، وليته كان حيًا ليرى ما قدمه ذلك الحذف الدرامي من إضافة، وما رسخته الصورة من فهمٍ على الفِهم.

أحمد السعيد

«اختراع الكتب» .. هشاشةٌ تحمي ذاكرةَ البشرية

د.بروين حبيب

ماذا يمكن لعاشق أن يُهدي معشوقةً تملك كل شيء، ملك واسع وثراء فاحش؟ ولندرك مدى ثرائها يُروى أنها أذابت مرة في كأس من الخل لؤلؤة عملاقة كانت تزيّن أذنها وشربتها لتبهر حبيبها. فعلم هذا العاشق الغلبان القائد الروماني مارك أنطوني أنه لن يثير إعجاب حبيبته إلا بهدية خارجة عن المألوف، فحمل إلى مكتبة الاسكندرية الكبرى مئتي ألف مخطوط ليفوز بقلب ملكة مصر كليوباترا.

ومن حينها أصبحت هذه الوريقات الهشة التي تدعى كتابا هدية ذات قيمة معنوية ومادية مفضَّلةً لدى من يرغب أن يتميز في إهدائه. وهذه الهشاشة التي وصفنا بها الكتاب مخادعة جدا، فرغم أنه لم يكن مصنوعا من الحديد ولا الحجر، بل كان برديّة مستخرجة من ساق قصب هشة على ضفاف النيل، سريعة العطب يذيبها الماء وتحولها النار إلى رماد ويتلفها إهمال الإنسان، إلا أنه حفظ لنا ذاكرة البشرية وتاريخها وآدابها وكل ما أنجبه عقلها الجمعي.

وحكاية الحامل الضعيف للمحمول القوي الثمين، ترويها لنا الكاتبة الإسبانية المتخصصة في الدراسات الكلاسيكية إيريني باييخو في كتابها ذي ال770 صفحة «اختراع الكتب اللامتناهي في بردية» الصادر عن دار الآداب بترجمة رشيقة متميزة قام بها جمال مارك. هذا الكتاب الذي تصفه صاحبته بأنه «ألف ليلة وليلة التي تحكي قصة الكتب» ترجم إلى أربعين لغة وصدر منه أكثر من خمسين طبعة باللغة الإسبانية وحدها.

ونالت عليه مؤلفته جوائز عديدة. وأثنى عليه كتاب كبار، فماريو بارغاس يوسّا وصفه بأنه تحفة فنية من أجمل ما كتب عن الكتب، في حين قال عنه ألبرتو مانغويل أشهر المهووسين بالكتب بأنه «بحث ساحر» ومن يقرأ الكتاب يتأكد من صدق ما وُصف به.

وقبل استعراض أفكار الكتاب لفتني أمران أولهما أن إيريني باييخو كتبت مقدمة خاصة بالطبعة العربية وكانت قد قامت بجولة في العالم العربي لتقديم مؤلَّفها فزارت مصر والمغرب، وفي مقدمتها للترجمة العربية تكتب «لقد كانت بغداد وقرطبة تزهوان بامتلاكهما مئات الآلاف من الكتب الثمينة في حين لم تتجاوز مقتنيات كبرى مكتبات العصور الوسطى في أوروبا المسيحية بضع مئات من المجلدات» والإنصاف عزيز. وثاني الأمرين نجده في آخر الكتاب وللأسف أصبح عملة نادرة مفقودة عند الكتاب العرب وهو شكر من ساعد في إنجاز الكتاب، ففي حين يتعامل الباحث والكاتب العربي على طريقة «وان مان شو»، تكتب إيريني تحت عنوان «شكر وعرفان» أربع صفحات كاملة شكرت فيها 93 شخصا مدوا لها يد العون صغيرا كان أو كبيرا، وهو تقليد يجدر بكتّابنا اتباعه.

نبدأ من سؤال مركزي ما الذي يغري جمهورا واسعا مليونيا بقراءة كتاب متخصص في تاريخ الكتب؟ والجواب يكمن في براعة المؤلفة التي حولت بحثا أكاديميا استغرق سنوات من عمرها إلى ما يشبه الرواية في نص سردي يعتمد على الحكاية والاستطراد والتنقل الرشيق بين الماضي والحاضر، ضمن دائرة مغلقة بدأتها بمكتبة الإسكندرية في عهد مبتكرها الأول الإسكندر المقدوني الأكبر الذي كان في صغره ينام ونسخة من الإلياذة مختبئة تحت وسادته، وأنهتها في المكتبة نفسها قبل سنتين من قرننا الحالي وهي تحاضر فيها عن الكتب

. والمؤلفة لم تكن ترى في هذه المكتبة الأسطورية وعاء ضخما لحفظ كتب الدنيا فقط كما أراد لها منشؤوها، بل هي حلم بأن تغدو «موطنًا من الورق لمن لا موطن لهم» لذلك أرسل حكام مصر البطالمة الفرسان إلى بقاع الأرض المتفرقة ليجلبوا لهم ما انتجه الفكر البشري يومذاك من معارف في شكل كتب. ولم تكن هذه البعثات خالصة لوجه العلم تماما، بل كانت وراءها رغبة في امتلاك المعرفة وطموح لامبراطورية تسعى لتوحيد الشعوب تحت سلطتها.

يتبع

ومن النقاط المهمة التي ذكرتها إيريني أنها لا تختزل مكتبة الإسكندرية في قصة الحريق الشهيرة، بل تذهب إلى أن نهايتها لم تكن بالحريق وحده، بل بأضرار متراكمة امتدت على قرون، وارتبطت بالحروب وضعف اهتمام الحكام بهذا الصرح. وعوض التركيز على الحريق استعادت الكاتبة الحياة التي دبت في المكتبة، وكان أبطالها جيش من العلماء والمترجمين والمفهرسين، ومحققي النصوص الذين يميزون بين الأصيل والمنحول. إلى أن سرقت روما الإمبراطورية الوليدة وهج مكتبة الإسكندرية وكثيرا من كتبها فأصبح طريق الكتاب يؤدي هو أيضا بدوره إلى روما.

تصطحبنا إيريني باييخو في رحلة موغلة في التاريخ إلى الأزمنة التي سبقت الأبجدية حيث بحث الإنسان عن مادة تصلح ليودعها كلماته ورسومه، فتنقّلَ من النقش على الصخر إلى الألواح الطينية، وواصل التجريب مع القصب والحرير والجلود ثم الورق بتحولاته وصولا إلى كتب البلاستيك والضوء، وهذه التحولات ليست مخترعات مادية فقط، بل رحلة مضنية للكلمات وهي تبحث عن جسد يكون خفيفا ومستداما ليحملها إلى مستقبل بعيد ومكان قصي لم يولد قراؤه بعد. ولعل النقلة الأبرز كانت مع ظهور الكودكس وهو شكلٌ قديم للكتاب، يتكوّن من أوراق مطوية ومجموعة بين غلافين، فقد حلّ تدريجيًا محل اللفافة جدَّة الكتاب الورقي الحالي، فمرونة الكودكس في تقليب الصفحات وسهولة الحمل أعطته قدرة على استيعاب النصوص الطويلة ضمن دفتيه وتواؤُم مع عين الإنسان القارئة له ويده الممسكة به.

ورغم هشاشة هاته الحوامل «البردي تأكله الرطوبة، والرق يحترق، والورق يتمزق، والملف الرقمي قد يختفي بتعطل جهاز» إلا أن قدرة الكتاب على التكيف فاقت التوقعات، بقابليته للنسخ والانتقال من حامل إلى آخر، رغم ما يعتري ذلك من تحريف عفوي أحيانا وتشويه مقصود أحيانا أخرى، ولكن ميزة الخلود للأفكار أعطاها مرونة تقمص أجساد كثيرة، وهي في جوهرها متشابهة، فالشاشة الحديثة التي نمرر فيها النصوص بفأرة الحاسوب ليست سوى حفيدة اللفافة التي كانت كلماتها تتسلسل أمام أعين أسلافنا. فمن اللوح الطيني إلى اللوحة الرقمية تعددت الألواح والهدف واحد.

«اختراع الكتب» ليس تكريما للمؤلفين العظام الذين دونوا المعرفة البشرية بل هو قبل ذلك تكريم للجنود المجهولين الذين تتجاهلهم

الأضـــواء من رواة وناسخين ورسامين ومترجمين وكتبيين ومعلمين ومكتبيين، فحين ينتهي دور المؤلف يُلقى الحمل على أكتاف هـؤلاء المنسيين لمنح الكتاب حياة وراء حياة، حتى يصل إلى يدي قارئ جالس على شاطئ أو منزو في قرية نائية أو في مقهى مدينة صاخبة، فبفضل هؤلاء تُضخُّ دائما دماء جديدة في منتج سريع التلف كالكتاب، فمثلا من مفارقات الحضارة الرومانية التي مجدت البلاغة والعقل أن السبب في انتشار كتبها «عبيد متعلمون عملوا في النسخ والقراءة والتعليم وإدارة المكتبات». ولا تنسى الكاتبة أن تنتصر للنساء وتعلن ذلك صراحة في أحد لقاءاتها «كنت مهووسة بمعرفة أين كانت النساء في العالم الفكري في العصور القديمة» محاولة إنصافهن في وجه تواطئ رجالي يحرمهن من التعبير عن أنفسهن ابتداء بتليماخوس ابن أوديسيوس الذي قال «الكلام يجب أن يكون شأن الرجال» وليس انتهاء بجملة الفرزدق الذكورية الموجعة حين قيل له إن فلانة تقول الشعر، فأجابهم: « إذا صاحت الدجاجة صياح الديك فاذبحوها». غير أن إيريني تزيل الغبار المتراكم عن إسهام المرأة في رفد المعرفة الإنسانية فحتى وإن غاب معظمه كتابيا لكنه بقي شفويا في مراثيها وحكاياتها وتهويداتها لأطفالها لتنيمهم، وتربط المؤلفة بين نسج القماش ونسج الرواية، مستندة إلى قرابة لغوية بين text وtextile التي ترجع إلى أصل لاتيني واحد. وتصوّب الكاتبة السؤال الظالم: لماذا لم تكتب النساء؟ ليصبح: لماذا لم يُحفظ ما كتبن وروين؟ مؤكّدة أن ندرة أسماء النساء في تاريخ الأدب «دليل على خلل في وسائل الحفظ والاعتراف، لا على صمتهن».

حين ننتهي من هذه الرحلة الممتعة مع كتاب إيريني باييخو «اختراع الكتب: اللامتناهي في بردية» ندرك أنه لم يكن غرض المؤلفة أن تؤرخ للكتاب مثلما فعل مانغويل في تاريخ القراءة، بل أرّخت لمقاومة النسيان حيث تجسدت الكلمات في قمصان كثيرة كالطين والبردي والجلد والورق وأخيرا الشاشة لتنجو، بل وتجسدت في ذاكرة معتقلي الغولاغ الذين جعلوا من عقولهم أوعية مؤقتة لما كتبوا أو في الذين نسخوا أفكارهم وشوما على أجسادهم ليوصلوا ما يتعقدون إلى أجيال تتحرر بكلماتهم. تقول لنا باييخو عبر كثير من الأمثلة والشواهد والاستطرادات أن الهشاشة هي التي حمت الكتاب بانتقاله من يد إلى أخرى، فما يبدو لنا بردية رقيقة هي في حقيقتها ذاكرة بشرية تحمل بين جوانحها: اللانهاية.

كينونة كاملة

بتول حميد

يركن قلبي للحظة التي يبصر فيها ظل الواهب.. كأن أكون مسرعة للكاشير وألمح سيدة متعبة يبكي حفيدها خلفها وهي تجر عربة الحياة.. أتوقف.. فتومئ لي بالمرور أولاً فأصمم «اعبري أنتِ» ترسم ابتسامة لامعة وأبتسم.

***

ثلاث ثوان سريعة كان لي صديقة جديدة، صديقة من العدم، نتبادل الابتسامات والتحايا.

***

فتنير جمجمة فكرة ساطعة؛ أنه بمجرد أن يخطو الإنسان خارج منزله ويبدأ تواصله مع الخلق، يتوهج حضوره في مرآة يبصر فيها الخلق انعكاسات أنفسهم. وهنا تصوغ الذات مساورتها: كيف تُحبّ أن يرى الخلق أنفسهم في مرآتك؟

***

يقول الأديب الروسي جوزيف برودسكي "يتجذر الشر عندما يبدأ الإنسان في التفكير في أنه أفضل من غيره". ويتفق معه تولستوي "احذر من الأفكار التي تشي لك بأنك أفضل من الآخرين".

***

بتفاوت المستوى تصادف في متاهات الحياة بشرًا لا يكتمل أمانهم إلا حين ينكمش الجميع في حضرتهم، لا يشعرون بطول قامتهم إلا بتقزيم من حولهم. الكل في مراياهم حقير الهمة والروح. لأن حضورهم يهدد سكينتهم.

***

يقول غوته: «لا تُعامل الناس، كما هم عليه، بل عاملهم على ما ينبغي أن يكونوا عليه، وبذلك تساعدهم ليصبحوا ما هم قادرون على أن يكونوه». تنبعث من توصية غوته مسؤولية شعرية تحط على أكتافنا بمجرد خروجنا للعالم، أننا –شئنا أم أبينا– نصبح مرايا يرى فيها من يتواصل معنا، شيئاً حيوياً من أنفسهم، وعلى أرواحنا يقع عبء تحديد طبيعة الإنعكاس الذي تبثه لهم مرايانا.

***

يصعب أن تفرط في مزاج واحد يراه الناس، عندما يتأملون أنفسهم في مرآتك، ربما لا يُمكن أن تُعطي حنانًا دائماً، أو شدّة طويلة، لا يُمكن أن تكون ناعماً كل الوقت أو ساذجا بارداً في معظمه. كل ما عليك ألا تجعل إنسانًا يشعر أنه صغيرًا أبدًا في الحضور والروح. كل إنسان يستحق على الطاولة أكسجيناً كافياً وحضوراً كحجم حضورك. كل فرد لابد أن يشعر في حضرتك وفي مرآتك بالاستحقاق والكينونة؛ إلا أن الكينونة التي يختارها بعد ذلك هي شأنه الخاص.

***

بذلك الضوء، يكمن تحت كل لقاء لك مع بشري تحية بيضاء خفية كأنما هي إيماءة رأس لإخوة متساوين. يعيشون دراما العيش سوياً على اختلاف اختباراتهم.. اختياراتهم ومساراتهم.

من غاب عن الخشبة.. شكسبير أم شروط المسرح؟

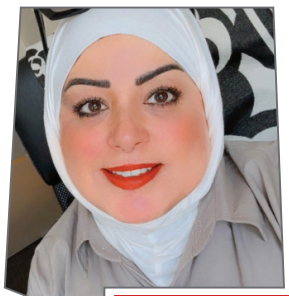

د. زهراء المنصور

مسرحية نداء الدم (عام 1991)

ليست كل الأسئلة التي تُطرح في اللقاءات المسرحية تنتهي بانتهاء الجلسات. فبعضها يظل معلقاً في الذهن، يستدعي أسئلة أخرى، وربما يدفعنا إلى مراجعة ما كنا نظنه مستقراً في تاريخنا المسرحي. والأكثر إثارة أن السؤال الذي يبدو بسيطاً في ظاهره، قد يكشف عن مساحات لم نقترب منها بما يكفي، لا لأن الإجابات غائبة بالضرورة، وإنما لأننا لم نعتد النظر إليها من تلك الزاوية.

هكذا وجدتُني أعود إلى سؤال طرحه الروائي أمين صالح خلال فعالية (كيف تصبح مخرجاً فاشلاً؟) للفنان حسين عبدعلي، حين تساءل عن حضور كلاسيكيات المسرح العالمي على الخشبة البحرينية، من شكسبير إلى تشيخوف وإبسن، وعن موقع هذه النصوص في تكوين الممثل وتطوير أدواته. لم يكن السؤال، كما تلقيته، مجرد استفسار عن عناوين قدمت أو لم تقدم، وإنما مدخلاً للتفكير في طبيعة التجربة المسرحية البحرينية، وما أتاحته للممثل من فرص لاختبار قدراته.

ولعل أول ما يستدعيه هذا السؤال هو العودة إلى الوثيقة، لا بحثاً عن إجابة تنهي النقاش، وإنما عن شواهد تساعدنا على طرحه بصورة أدق. ففي تجربة مسرح أوال وحدها، نجد (المفتش) لنيقولا جوجول عام 1979م، من إعداد حسن عون وإخراج سامي القوز، و(نداء الدم) التي قدمها خليفة العريفي عام 1991م بوصفها رؤية في (مكبث) لشكسبير، و(الجلف) لأنطون تشيخوف من إخراج عبدالله سويد عام 2006م، وصولاً إلى (رماد من رماد) لهارولد بنتر من إخراج عيسى الصنديد عام 2018م. بل إن الأرشيف يحتفظ بتجربة أخرى مع نص بنتر (الحارس) من إخراج محمد عواد، خاضت الفرقة تدريباتها دون أن يصل العمل إلى الجمهور.

هذه الشواهد، التي توثقها إصدارات مسرح أوال –فقط–، لا تختزل تاريخ اشتغال الفرق البحرينية على النصوص العالمية، لكنها تكفي لنفي الغياب المطلق، وتفتح سؤالاً أكثر أهمية: هل تحول حضور هذه النصوص إلى ممارسة فنية متراكمة، أم ظل مرتبطاً بمبادرات وتجارب متفرقة؟ وهل كان الاشتغال عليها جزءاً من مشروع لتكوين الممثل، أم اختياراً تحكمه ظروف كل عرض؟ فثمة مسافة بين نقل النص إلى الخشبة، وبين الدخول إلى عالمه الدرامي، واستيعاب تحدياته الأدائية والفكرية. فليس كل من قدم شكسبير قد امتلك أدوات التعامل مع شخصياته، مثلما لا يكفي الوقوف أمام نص لتشيخوف كي يستطيع الممثل النفاذ إلى ما تخفيه شخصياته خلف الكلمات والصمت. فالنصوص الكبرى لا تمنح الممثل مهاراته بمجرد تقديمها، وإنما تضعه أمام اختبارات تستدعي البحث، والتدريب، وفهم العلاقات بين الشخصية وظروفها، وبين الفعل ودوافعه.

ولعل الأمر يشبه الفنان التشكيلي الذي يقفز إلى التجريد قبل أن يختبر إمكانات الرسم وأدواته. لا يعني ذلك أن الإبداع يخضع لسلم تعليمي واحد، وإنما إلى معرفة القواعد التي تمنح الفنان قدرة أوسع على تجاوزها بوعي. لكن هل الكلاسيكيات وحدها هي الطريق إلى تكوين الممثل الجيد؟

لا أعتقد ذلك! فتاريخ المسرح حافل بتقاليد أدائية ومدارس جمالية مختلفة، بعضها لا ينطلق من النص الأدبي أصلاً، وبعضها يمنح الجسد والارتجال موقعاً يتقدم على الكلمة المكتوبة، كما أن النصوص العربية والمحلية قد توفر للممثل تحديات لا تقل تعقيداً عن النصوص العالمية. ولذلك لا تبدو القضية في المفاضلة بين شكسبير والكاتب المحلي، وإنما في تنوع الخبرات التي تتاح للممثل، وقدرته على الانتقال بين عوالم درامية مختلفة دون أن يظل أسير أدوات يكررها من عرض إلى آخر.

ومن الإنصاف أن نتذكر أن التوجه إلى النص المحلي لم يكن دائماً نتيجة غياب الخيارات الأخرى، بل كان في مراحل من تاريخ المسرح البحريني تعبيراً عن رغبة واعية في تأسيس خطاب يتصل بالمجتمع وقضاياه. وتكشف تجربة مسرح أوال –على الأقل– عن حضور واضح للمؤلفين البحرينيين في بداياتها، قبل أن تتسع خياراتها إلى النصوص العربية والعالمية. وهو توجه يمكن فهمه في سياق الحاجة إلى بناء مسرح محلي له لغته وموضوعاته وجمهوره، لا بوصفه انغلاقاً على التجارب الأخرى.

غير أن الاعتراف بمشروعية هذه الخيارات لا يمنعنا من مساءلة نتائجها. فالسؤال ليس ما إذا كان ينبغي تقديم شكسبير بدلاً من الكاتب المحلي. وهنا يغادر السؤال منطقة الاختيارات الجمالية، ليدخل إلى واقع الإنتاج المسرحي وشروطه. فالمسرح البحريني، الذي قام جانب كبير من تجربته على جهود الفرق الأهلية، والتطوع، والشغف الفردي، يواجه تحديات تتصل بفرص الإنتاج واستمراريته. وقد تكشف الأرقام أحياناً عن نشاط مسرحي لافت، دون أن تعكس استمرارية الإنتاج. ففي قراءته للعقد الخامس من تاريخ مسرح أوال، يلفت الباحث د.محمد حميد السلمان إلى أن ارتفاع عدد العروض ارتبط في جانب

منه بالمهرجانات، وليس بغزارة الإنتاج الجماهيري وحدها. وهي ملاحظة تستحق التوقف عندها؛ لأن وجود عروض كثيرة في برنامج مهرجان لا يعني أن الممثل يمتلك فرصاً منتظمة للعمل طوال العام. فالممثل لا يتكون في الورش التدريبية وحدها، وإنما عبر تراكم التجارب، وتعدد الشخصيات، واختلاف المخرجين، ومواجهة الجمهور، واكتشاف الأخطاء. وحين تتباعد المسافات بين عرض وآخر، يصبح هذا التراكم أكثر صعوبة، وقد يجد الممثل نفسه مطالباً بتقديم أداء ناضج، دون ممارسة منتظمة تسبق التجربة أو تتبعها.

ولا يعني ذلك التقليل من جهود التدريب التي عرفتها الحركة المسرحية البحرينية. فقد شهدت الفرق الأهلية ورشاً وبرامج مختلفة، بل إن مسرح أوال أصدر عام 1990م دراسة للدكتور إبراهيم غلوم بعنوان "تكوين الممثل المسرحي"، مما يؤكد أن الاهتمام بهذا السؤال ليس جديداً. لكن وجود التدريب شيء، وتحوله إلى مسار مستمر تتكامل فيه المعرفة النظرية مع الممارسة العملية شيء آخر. ومن هنا تبدو مساءلة تكوين الممثل البحريني أكثر تعقيداً من إرجاع أوجه القصور إلى محدودية الاجتهاد الشخصي. فلدينا ممثلون يمتلكون حضوراً وموهبة، لكن بعض التجارب تكشف تفاوتاً في أدوات بناء الشخصية، والانتقال من التعبير الخارجي إلى الاشتغال على دوافعها الداخلية. ولا ينبغي تحويل هذه الملاحظة إلى حكم عام، بقدر ما تستدعي النظر في الظروف التي تسمح للموهبة بالنمو. ولعل من الظلم أن نطالب الممثل وحده بنتائج منظومة لا توفر له دائماً شروط التطور.

ولا يمكن فصل هذه المسألة عن العلاقة غير المتكافئة بين المسرح والتلفزيون. فالممثل الذي يحقق حضوراً على الخشبة، قد يجد في التلفزيون مقابلاً مادياً وانتشاراً أوسع، بينما يظل عمله المسرحي، في الغالب، قائماً على التطوع واقتطاع الوقت من التزاماته. وليس من الإنصاف أن نلومه حين يختار المجال الذي يوفر له دخلاً وفرصاً أكبر، أو أن نقرأ انتقاله إلى التلفزيون باعتباره تخلّياً عن المسرح.

لكن ماذا يحدث حين ينجح المسرح في اكتشاف ممثل وتطوير موهبته، ثم لا يمتلك ما يكفي من الفرص لاستمرار علاقته بالخشبة؟ وماذا يحدث حين تصبح الخبرة المسرحية محطة عابرة في مسيرة تتجه نحو وسيط آخر؟ ليس التلفزيون خصماً للمسرح، لكن المشكلة تبدأ حين يفقد المسرح قدرته على

عبدالله سويد

خليفة العريفي

توفير الاستمرارية التي تجعل العودة إليه ممارسة فنية منتظمة، لا مجرد حنين إلى الخشبة. ثم يأتي الجمهور، ذلك الطرف الذي لا يكتمل الفعل المسرحي من دونه. فهل تقاس قيمة المسرح بعدد مشاهديه؟ وهل يصبح العرض الذي لا يستقطب جمهوراً واسعاً أقل أهمية من عرض تمتلئ قاعته؟

لا أعتقد ذلك أيضاً. فالفنون لا تتساوى في طبيعة جمهورها؛ حيث إن هناك تجارب تتطلب استعداداً خاصاً للتأمل، كما أن هناك مسرحاً شعبياً يصل إلى قطاعات واسعة دون أن يفقد بالضرورة قيمته الفنية. فالنخبوية ليست قيمة جمالية في ذاتها، مثلما أن الجماهيرية ليست نقيضاً للجودة، لكن الاعتراف بحق المسرح في مخاطبة جمهور محدود لا يعفينا من مساءلة علاقته بالمجتمع. فثمة فرق بين عرض يختار جمهوره انطلاقاً من مشروعه الجمالي، وبين حركة مسرحية تضيق دائرة متابعيها لأسباب تتصل بندرة الإنتاج، أو ضعف التواصل، أو تغير أنماط التلقي. وفي الحالة الثانية، تصبح المسألة مرتبطة بموقع المسرح في الحياة الثقافية، وقدرته على بناء جمهور يتجدد مع الأجيال.

وهنا أعود إلى سؤال أمين صالح، الذي أجد فيه مدخلاً إلى أسئلة أوسع أشتغل عليها ضمن مشروعي البحثي الجديد (102 سنة مسرحية بحرينية)، الذي أسعى من خلاله إلى إعادة قراءة تاريخ المسرح في البحرين، لا بوصفه تعاقباً للعروض والأسماء، وإنما تجربة ثقافية وجمالية تشكلت داخل ظروف اجتماعية وفنية متغيرة، وتركت إنجازات وأسئلة ومسارات تستحق المراجعة. فالتاريخ المسرحي لا يُكتب بما تحقق وحده، وإنما يمكن أن نقرأه أيضاً من خلال ما لم يتحقق، وما تعذّر استمراره، وما ظل خارج الخيارات السائدة. وقد يكون السؤال عن النصوص التي لم تقدم، أو لم تتحول إلى تقاليد فنية راسخة، مدخلاً لفهم العلاقة بين الممثل والنص، وبين الفرقة ومشروعها الجمالي، وبين الطموح الفني والإمكانات المتاحة.

وليس المقصود إعادة محاكمة التجربة المسرحية البحرينية بمعايير مستوردة، أو قياس قيمتها بمقدار اقترابها من نماذج عالمية بعينها. فالمسرح البحريني أنتج تجارب مهمة، وشكل حضوره الثقافي في سياقات لم تكن سهلة، لكن الاعتزاز بهذه التجربة لا ينبغي أن يحول دون مساءلتها، مثلما لا يجوز أن تتحول مساءلتها إلى إنكار لما أنجزته. وربما كان من الضروري أن نسأل عن طبيعة النصوص التي اختارتها الفرق البحرينية، وعن الأسباب التي جعلت بعضها أكثر حضوراً من غيرها؛ هل كانت الخيارات تعبيراً عن حاجة اجتماعية وثقافية؟ أم استجابة لذائقة الجمهور؟ أم انعكاساً لإمكانات الإنتاج؟ أم نتيجة لتصورات فنية تبنّاها المخرجون والفرق في مراحل مختلفة؟ وقد لا نجد إجابة واحدة؛ لأن تاريخ المسرح لا يتحرك وفق سبب منفرد، وإنما تصنعه شبكة من العلاقات والظروف والاختيارات، بعضها واعٍ ومقصود، وبعضها تفرضه حدود الممكن. لهذا أجد أن أهمية سؤال أمين صالح لا تكمن في استدعاء شكسبير وتشيخوف وإبسن إلى الخشبة البحرينية بأثر رجعي، فقد عرف المسرح البحريني بعض هذه التجارب بالفعل، وإنما في دفعنا إلى التفكير في نوع التجربة التي صنعت الممثل البحريني، وفي المساحات التي أتيحت له كي يكتشف قدراته. فليس كل ما غاب عن الخشبة غاب لأن المسرحيين لم يرغبوا فيه، وليس كل ما حضر كان بالضرورة ثمرة اختيار جمالي حر. وبين الرغبة والإمكان، وبين الموهبة والممارسة، وبين النص والجمهور، تتشكل حكاية المسرح بما فيها من إنجازات، وتناقضات، وأسئلة مؤجلة.

ولعل السؤال الذي يستحق أن يبقى مفتوحاً ليس (لماذا غاب شكسبير عن خشبتنا؟) بعدما عرفنا أنه حضر بالفعل، وإنما ماذا فعلنا بهذا الحضور؟ وماذا بقي منه في ذاكرة الممثل وأدواته، وفي خبرة المسرح البحريني وقدرته على التجدد؟ فالقيمة لا تكمن في أن يزيّن اسم شكسبير ملصق عرض جديد، وإنما في أن يترك مروره على الخشبة أثراً يتجاوز ليلة العرض.

المراجع

• موسى حسن، مسرح أوال.. خمسون عاماً من الإبداع، مسرح أوال، البحرين، 2020م، ص:11-12، 86، 102، 160، 169، 176.

• محمد حميد السلمان، خمسة عقود من اللؤلؤ: الجزء الأول (الرصد التاريخي للبدايات)، مسرح أوال، البحرين، 2020م، ص:24، 44، 66، 204، 285-286، 330، 358.

رحيل محمد العلي رائد الحداثة الشعرية في السعودية

رحيل الشاعر والأديب السعودي الكبير أكثر من غياب رجلٍ كتب قصائد وترك وراءه كتباً ومقالات، فثمة شعراء يغادرون الحياة، لكنهم يتركون في اللغة ما يجعل غيابهم أقلَّ اكتمالاً، وفي الذاكرة ما يقاوم النسيان. ومحمد العلي واحد من أولئك الذين لم تكن الكتابة عندهم ترفاً لغوياً أو انشغالاً جمالياً معزولاً عن الحياة، بل كانت طريقة في النظر إلى العالم، وفي مساءلة ما استقرّ في الأذهان من أفكار ومسلّمات، وفي الانحياز إلى الإنسان وحقه في أن يفكر ويحلم ويختلف.

د. حسن مدن

حضور محمد العلي لم يقتصرعلى قصيدته، بل امتد إلى موقفه الثقافي والفكري، وإلى الإيمان بأن الفكر النيّر ليس شعاراً يُرفع، وإنما جهد طويل في تحرير العقل من الخوف والجمود، وفتح النوافذ أمام الأسئلة التي لا تكفّ عن التجدد. ولعلّ هذا ما يجعل استذكاره بعد رحيله عنا قبل أيام قليلة، أبعد من كتابة مرثية؛ إنه مناسبة لاستعادة تجربة ثقافية تركت أثرها في المشهد السعودي، لا بل وفي الأفق الخليجي، فضلاً عن حضوره العربي، ما أسهم في توسيع أفق الكتابة والتفكير في منجزه.

أذكر الآن أنّ المرة الأولى التي التقيت فيها شاعرنا وأديبنا الكبير محمد العلي كانت ذات مساء جميل في دمشق في السّنوات الأولى من ثمانينيات القرن الماضي. كنت في تلك الفترة شابًا في منتصف العشرينات من عمري، وأذكر أني سمعت عن محمد العلي وشعره، قبل أن ألتقيه في ذلك المساء معية الصديق المشترك لنا نحن الاثنين، كامل الشامسي الذي كان له الفضل في ترتيب ذلك اللقاء، أو فلنقل دعوتي لمشاركتهما جلستهما في مطعم بالطابق الأخير من أحد فنادق دمشق، ولعلي لم أكن، وقتها، قد قرأت الكثير من شعره، ولكن شخصية محمد العلي الآسرة، المحبة للحياة، وثقافته الواسعة شدّتاني إليه، ما جعلني أحرص، تاليًا، على أن أقرأ له كل ما سيقع بين يدي من أشعاره ومقالاته.

الحق أني لم ألتق بمحمد العلي، مرة أخرى، بعد هذا اللقاء، إلا بعد سنوات طوال، ومثلما أذكر لقائي الأول معه، فإني أذكر جيداً لقاءً آخر جمعني به قبل سنوات قليلة، في البحرين هذه المرة، ورغم مضي الزمن فإني وجدت في محمد العلي نفس الروح الآسرة التي لاحظتها في لقائنا الأول، حيث تدفق في الحديث عن ذكريات مختلفة له وعن تجربته الأدبيّة والشعريّة، وكان مصدر بهجة وفخر لي حين عرفت منه أنه يتابع ما أنشر من مقالات في جريدة «الخليج» الإماراتيّة، وأسعدني أنه كتب بعد حين مقالاً عنها في جريدة «اليوم» سأظل أعدّه من أجمل الشّهادات وأعزّها إلى نفسي.

ربما في هذا اللقاء بالذات تحدث محمد العلي عن لقائه بالمفكر اللبناني حسين مروّة، عندما كانا شابين قصدا، كل من بلده، مدينة النجف بالعراق لتلقي العلوم الدينية فيها، ولكن الرجلين لم يصبحا رجلي دين كما اراد لهما أهلهما، أو كما كانت غايتهما من الذهاب إلى النجف، وإنما سيغدوان رمزين من رموز الفكر النيّر والحداثة إن على مستوى بلد كل واحد منهما، أو على المستوى العربيّ، ولعل هذا يفسر العنوان الذي اختاره حسين مروّة للكتاب الذي وضعه، قبل رحيله، عن سيرته، وهو: «ولدتُ شيخاً وأموتُ طفلاً»، ومحمد العلي مثل حسين مروة ولد لكي يكون شيخًا، ولكن الحياة حملته إلى المسارات التي تتلاءم مع روحه وشخصيته، فأسهم، وهو في العراق، في تأسيس العديد من الجماعات والرابطات الأدبية في بغداد والنجف، وتعرّف على تجربة الأدب الحديث في العراق، وكان محظوظًا لأنه عاصر بدايات تجارب الشعر الجديد في العراق، حتى إنه حفظ عن ظهر قلب ديوان بدر

شاكر السياب «شناشيل بنت الشلبي»، على ما يُروى عنه.

هيأت هذه البدايات التّأسيسيّة المهمة لمحمد العلي لأن يكون رائدًا من أهمّ رواد الحداثة الشّعرية والأدبية في بلاده، حيث لا يمكن التأريخ لبدايات هذه الحداثة ومراحل تطوّرها دون الوقوف المتأني عند تجربته في الشّعر وفي الكتابة عامة، والتتبع الدّقيق والتّفصيلي لمصادر هذه التّجربة وتحوّلاتها وتأثيراتها على مجايليه وعلى الجيل اللاحق من أدباء وكتاب السعوديّةيؤكد ذلك .

ولعلّ هذا ما فعله الشاعر علي الدميني في كتابه عن محمد العلي، حين لم يحصر حديثه، وهو يبحث في الحداثة في المجتمع السّعودي على التجارب الشّعرية والسّردية والدراسات النّقدية وحدها، وإنما ذهب إلى ما يتسق مع رؤية ومواقف محمد العلي نفسه من الحداثة وتجاهها، بوصفها مشروعًا فكريًا وسياسيًا واقتصاديًا واجتماعيًا اشتمل في حركته على قيم التنوير كالعقلانية وحرية الفكر والضمير والتفكير والإبداع والتقدم، وهذا ما نلمسه ليس فقط في شعر العلي، وإنما في مجمل مواقفه، وفي مقالاته العميقة، الرّشيقة، الشّائقة التي تنمّ عن سعة فكره، وعن بانوراما انشغالاته الفكريّة، التي تظهر ما للرجل من مكانة ودور في الفكر الجديد في السعوديّة وفي المنطقة الخليجيّة عامة.

لا ماء في الماء

شعر: محمد العلي

ما الذي سوف يبقى
إذا رحت أنزع عنك الأساطير
أرمي المحار الذي في الخيال إلى الوحل؟
ماذا سأصنع بالأرق العذب
بالجارحات الأنيقات
أما لقيتك دون الضباب الجميل
كما أنت.. كن لي كما أنت
معتكراً غارقاً في السفوح البعيدة
مختلطاً بالثمار
ومكتئباً كالعيون الوحيدة
بيني وبينك هذا الضباب
الذي يمنح الحلم أشواقه
يمنح الوهم أجنحة الماء
ها أنت فيه غويُ
كنافورة من نخيل
كأرجوحة من هديل.
يقولون كنت هنا منذ أول فجر
وآباؤنا بذروا فيك أحلامهم
بذورنا – ولما نزل في الأماني –
على الموج
وكنا حقول الهوى فوق زرقتك
البكر
كنا الزغاريد تشعلها الفاطمات إذا
ما أطلوا مع السحب
(دانه .. دانه .. لا .. دانه)

ها نحن جئنا
ولسنا نريد اللآلئ
لسنا نريد الذي لم يزل نازحًا في امتدادك
إنا نريد الوجوه التي كان آباؤنا يبذرون
على الموج،
أسماءنا
أن نسير على الأرض دون انحناء ...
وها أنت كالحزن تنداح
تنداح دون انتهاء ..
وبيني وبينك هذا الضباب الجميل
ترمدت الشهب الحُلميّة
يلبس عري الصخور هو الآن
لا ماء في الماء
أوقفني مرة نورس كان في البعد
أسمع من ريشه المتقاطر لحنًا

وأخيلة تغسل الموت من كل أوهامنا المشرئبة
بالخوف
لكنه ذاب في الملح ..
أعدو قرونًا على السيف
أسأل كل الشموس التي اختبأت فيه
كل الحرارات
كل الرياح، المرايا، المراكب
سرت إلى أين
يا زرقة علمتنا الأناشيد؟!
كان الأصيل شهباً كنهدين ما التفتا بعد
خامرني غزلٌ مثقفٌ بالعصافير
لكنها لم تجئ
زرقة علمتنا الأناشيد
أطفأت قلبي
جميل سهاد المحبين
حين يكون الظلام خليجًا
وتأوي إلى الأرض أنهارها ..
ثم ينأى الخليج الذي يحمل القلب
ينأى إلى حيث يبقي الضباب: الحداء –
الدليل ..
هناك أقتل هذا الكمين المخاتل، أو ما يسمونه:
شعراً، وأرقص .. أرقص والكأس،
والذكريات الحييات ..
عن أمس، أو عن غدٍ سوف يأتي
وبيني وبينك هذا الضباب الجميل

محمود درويش في حضرة الغياب

حميد الملا

«في حضرة الغياب»، كتاب جميل للشاعر المبدع محمود درويش كنصّ يستعصي على الفهم المباشر، لا هو رواية أو سيرة ذاتية ولا هو بشعر، ولكنه كل ذلك في حقيقة الأمر، فالكتاب، رغم قصر المادة التي احتواها، مكثف بشكل كبير، حيث لا يتعدى عدد صفحاته المئة والواحد والثمانين صفحة، علمًا بأن الطبعة الأولى صدرت في العام ٢٠٠٦، فيما صدرت الطبعة التي بين أيدينا في العام ٢٠٠٩.

قرأته للمرّة الثالثة لأستجلي الغموض الذي يكتنفه من حيث المعنى والمبنى، فوجدت أن للشعراء مقدرة لغوية في التعبير لا يستطيع إلا من تبحّر في اللغة الاقتراب منها وسبر أغوار مفرداتها بطبيعة الحال. إنه نص أدبي مزج فيه درويش النثر بالشعر، وعليك أن تُجهد نفسك وعقلك حتى تصل إلى ما يريد إيصاله لك من خلال المحطات الكثيرة التي يمر عليها في حياته منذ مولده في قرية البروة، قرب عكا في الجليل في العام 1941 وحتى غربته في منفاه، وكان عمره حوالي سبع سنوات حين غادرت عائلته مع أحداث النكبة في العام 1948: «هنا وُلدنا، على حافة هذه البئر كما تولد الخبيّزة والهندباء والفيجي. وهنا وُلدت كما يُولد الخيال تدريجيًا من كل شيء، فكيف تعيد الخيال معافًى وتطير على حصان؟.“

بهذه القراءة المتأنية وجدت أن هذا الكتاب أقرب إلى السيرة الذاتية التأملية، وهو كذلك على ما أعتقد لما احتواه من محطات متتابعة في حياة صاحب النص محمود درويش كما أسماه.

يتأمل درويش في واقع الحياة التي عاشها في المنفى، الحب، الحياة، الموت، الغياب، الحنين، السجن، وفي وطنه فلسطين يمر على مدنها عكا، يافا، حيفا، رام الله، غزة وأريحا، ليقول: ”يقع الخيال من أعلى، يتدحرج كحبّة كستناء على الشارع المفضي إلى عكا“، ويسأل: ما معنى كلمة ”وطن“؟ ويجيب: ”هو البيت، وشجرة التوت، وقنّ الدجاج، وقفير النحل، ورائحة الخبز، والسماء الأولى.“

كم هو جميل نعته للمدن الفلسطينية، إذ يقول عن عكا ”بأنها أقدم المدن الجميلة/ أجمل المدن القديمة؟ عكا مغامرة ضياعك الأولى، وبحرك الأول.“ ورسم الشاعر صورة غزّة في نص جميل: ”قلعة محاصرة بالبحر، والنخيل، والغزاة، والجُمّيز. قلعة لا تسقط. غزة هي العزّةُ المُعتزةُ باسمها المُستفزّةُ، بلا انقطاع من صمت العالم على حصارها الطويل.“

يحكي لنا عن عكا، عن سجنه الأول في هذه المدينة، وفي حيفا يقول: ”واكتفيت بإلقاء نظرة الطائر على ريشة علقت بشجرة النارنج، سقط الخيال عن الشجرة! فهل لك أن ترفعه قليلا... قليلًا إلى أعلى!“.

ولكن أين هي عكا ويافا ورام الله والقدس وغيرها من المدن، بل أين هو الوطن؟ فقد اغتصبه الصهاينة وقتلوا وشردوا أهله واستوطنوه واستباحوه، وهنا يعبر بأسى ولوعة عن وطنه، بأنه ”انتقل اسم البلاد، بلادنا، إلى اسم آخر. وصار الواقع فكرة وانتقل التاريخ إلى ذاكرة. الأسطورة تغزو، والغزو يعزو كل شيء إلى مشيئة الرب الذي وعد ولم يخلف الميعاد. كتبوا روايتهم: عدنا. وكتبوا روايتنا: عادوا إلى الصحراء. وحاكمونا: لماذا وُلدتم هنا؟ قلنا: لماذا وُلد آدم في الجنّة؟“.

وبعد زيارته إلى غزة يسأل عن الشاعر معين بسيسو: لماذا لم يأتِ معي؟ ليجيب: لم يجدوا له مكانًا في غزة.“فتمتمت: كنا نبحث عن بيت، وصرنا نبحث عن قبر.“

وبفلسفة الشاعر وحدّة تفكيره وبُعد نظره عما يجري حوله وعن أوضاع بلده، عندما عاد في زيارة للمدن الفلسطينية بعد ثلاثة عقود من الزمن، ليقول: ”في ذلك الليل المقطّع بالحواجز والمستوطنات وأبراج المراقبة، يحتاج المرء إلى عِلم جغرافي جديد ليعرف الحدود الفاصلة بين الخطوة والخطوة التالية، وبين الممنوع والمسموح، كصعوبة العثور على الغامض والواضح في اتفاقيات أوسلو“.

إذن، اتفاقيات أوسلو في قاموس درويش كانت فخًا نُصب للفلسطينيين للقبول بتجزئة الأراضي الفلسطينية على حساب زيادة المستوطنات الإسرائيلية وحصار ما تبقى من أراض ليعيث المستوطنون اليهود فسادًا وتدميرًا وقتلًا: ”الدولة ما زالت نصًا أدبيًا. وتشعر بأن الباب الذي يدلف منه العائدون لا يفضي إلى استقلال ودولة“، وهنا يشير إلى فشل عملية أوسلو للسلام.

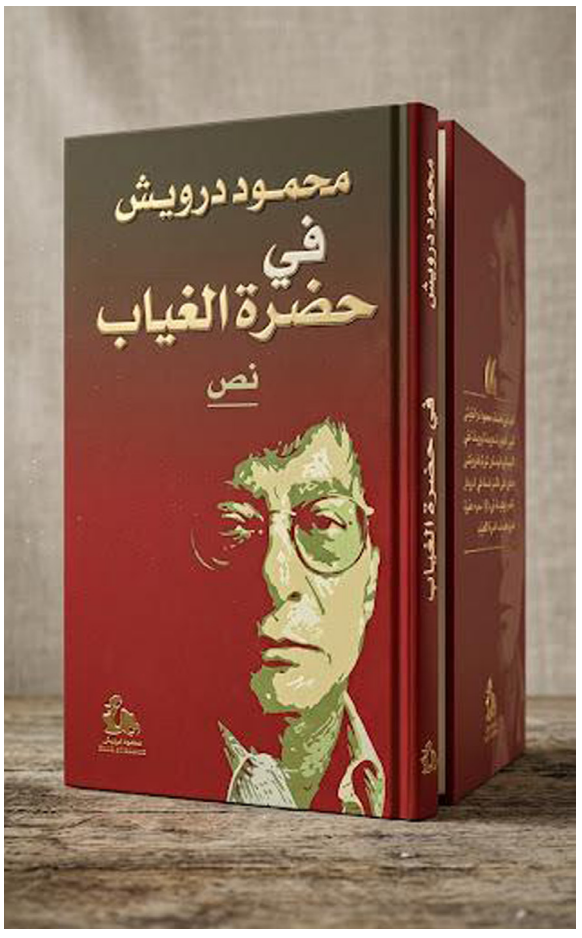

أثناء زيارته إلى حيفا لزيارة إميل حبيبي، وبعد اتفاقه معه على تلك الزيارة، يفاجأ بأن الموت لم يمهل حبيبي: ”في الساعة الثالثة بعد منتصف الليل أيقظوك ليخبروك أن إميل حبيبي لم يتمكن من الانتظار. لقد فارق الحياة. وعليك السفر إلى الناصرة لتشارك في الجنازة والتأبين. لقد أوصى إميل حبيبي بأن يُكتب على شاهدة قبره: ”باقٍ في حيفا».

يطوف على البلدان التي عاش فيها وما مرّت به من أحداث، لبنان، ليقول: ”بيروت نائمة حالمة بيوم آخر. غدًا تحصي قتلاها وجرحاها. وتمددت على هدير الصمت، كلّ شيء يبكي: السماء الواطئة. الرصاص الذي يودّع المقاتلين يبكي. الشوارع تبكي، والشرفات وأطلال البنايات، والشعارات على جدران المدينة تبكي، والمواعيد المرمية في الممكن والمستحيل تبكي“.

يفيض في الاعتزاز بشعبه الفلسطيني ويؤرخ لشموخ المقاومة وقوة تجذّرها في الوجدان وخوف الاحتلال وارتعاده منها والكوابيس التي تؤرقه، إذ يقول:“الأرض الموعودة“ صرنا شبح القتيل الذي يطارد القاتل في النوم وفي اليقظة ما بينهما، فيطرب ويكتئب ويشكو من الأرق ويصرخ: ”ألم يموتوا بعد؟“ كلا... فقد بلغ الشبح سنّ الفطام وسنّ الرشد وسنّ المقاومة وسنّ العودة. الطائرات تطارد الشبح في الهواء. الدبابات تطارد الشبح في البر. والغوّاصات تطارد الشبح في البحر. والشبح يكبر ويحتلّ وعيَ القاتل حتى يصيبه بالجنون.“

وعن المنفى يستطرد في التأمل بين منفى وآخر ليصل في تأملاته ويقول: ”لكلّ منفى طبيعة ولكل منفيّ طبائع. في المنفى تدريب على التأمّل فيما ليس لك، وإعجاب بما ليس لك.“

يستعيد محمود درويش في هذا الكتاب الوطن والطفولة والمنفى والحب ليصبح الغياب طريقًا آخر للحضور، ولهذا يظل درويش حاضرًا كلما قرأنا (في حضرة الغياب). إنه كتاب للذاكرة، ذاكرة الشاعر وغيابه، بين الإنسان وذاكرته، بين الحياة والموت: ”أدركت أن الموت لا يوجع الموتى، بل يوجع الأحياء“.

يبقى غيابك فينا حضوراً

شعر:
فاطمة محسن

إلى روح علي عبدالله خليفة

مَسَاءٌ حَزِينٌ عَلَى غُرْبَةِ الأَسْئِلَهْ
وَبَحْرٌ يُلَمْلِمُ أَبْيَاتَهُ
يَدُورُ عَلَى رَقْصَةِ القَافِيَهْ
أَعُودُ لِغُرْبَةِ دَرْبٍ مَشَيْنَاهُ
إِلَى وَحْشَةِ المُلْتَقَى
وَأَشْهَدُ أَنّ الزّمَانْ
تَخَلّى عَنِ البَوْصَلَهْ
يَغِيبُ المُغَنّى
عَنِ الحَفْلِ وَالأَصْدِقَاءْ
وَهَذَا المَسَاءُ مَلِيءٌ بِكُمْ
وَلَكِنّ صَدْرَ الدّيَارِ خَلا
وَكَانُوا يَلُومُونَهُ:
لِمَاذَا تَرَكْتَ الشّرَاعْ
يُسَافِرُ فِي الوَقْتِ دُونَ هُدَى؟

فَيَرُدُّ صَدَاهُ:
لِأَنّي وَفَيْتُ
لِأَنّ القَصِيدَةَ كَانَتْ ضِيَاءْ
هُنَاكَ بَعِيداً
يَنَامُ المُغَنّى وَحِيداً
وَفِي كُلّ قَلْبٍ
تَمُدُّ السّمَاءُ لَنَا ذِكْرَيَاتْ
وَأَشْهَدُ أَنّ المُغَنّى
يُغَازِلُ صَوْتَ القَصِيدَةِ فِينَا
وَيَبْكِي عَلَى فَقْدِنَا لِلْحُرُوفْ
وَأَمّا أَنَا
فَأَبْقَى أُرَاوِحُ بَيْنَ المَكَانْ
وَقَلْبِي...

كَأَنّ المَكَانَ تَحَدّثَ عَنْ رِحْلَتَيْنْ
كَأَنّ الحَنِينَ إِذَا مَا انْصَرَفْ
يُهَدْهِدُ فِي الرّوحِ عَنْ نَخْلَتَيْنْ
وَيَصْرُخُ فِي المَوْتِ: آهٍ كَفَى!
وَيَبْقَى السّؤَالْ:
مَتَى يَلْتَقِي الحَرْفُ وَالذّاكِرَهْ؟
لِيَعْبُرَ صَوْتُكَ فِينَا حَنُوناً
وَيَضْحَكَ وَجْهُ القَصِيدَةِ
إِذَا جَاءَ ذِكْرُكَ فِي خَاطِرَهْ...
لِيَنْبُتَ فِي القَفْرِ أَلْفُ رَبِيعٍ
وَيَبْقَى غِيَابُكَ فِينَا حُضُوراً
إِلَى أَنْ نُلَاقِيَكَ حَيْثُ الخَيَالْ...

لبعض الرفاق

شعر: علي عبدالله خليفة

لبعض الرفاق صهيل الجياد
وخفّق جناح النسور إلى القمم العالية
لبعض الرفاق أغاريد حب تقبّض حنواً
ويسمو بها في الزمان الحنين
لبعض الرفاق
انتعاش نسيم
يهبّ على شجر عامر في الفؤاد
\ لهم مكمن دافئ في الحنايا...
لهم وهج النجم
في زرقة الذاكرة.
لبعض الرفاق يد ساحرة
إذا ما التقينا تحسّ بكل العروق
بها نابضة
ويلقاك بالودّ وجه تشعّ به الروح
مستبشرة
لبعض الرفاق، وإن غادروك
ظلال تفيء عليك، وتبقى لهم
تلكم الألفة النادرة.
لبعض الرفاق ومن بعضهم وردة
لا يطال شذاها الذبول
ومن بعضهم شجر ضارب
مدّ ما بينهم في الجذور
وراح يعمّق حتى الأقاصي
ليعطيك من وهج الروح
شيئاً يعزّ
وما كنت يوماً إليه تقول.

لا تخبروه أنّه مات ..

شعر:
خالد جمعة

من رأى منكم ولداً

«أبيض، حلو، وشعره كيرلي»

واسمه يوسف

فليُملّس على خدّه كي ينام

فهذا يسرّه

وليحكِ له قصةً قبل النوم

وأرجوكم، لا أحد يلعب بشعره

تُغضِبه هذه الحركةُ كثيراً

آه: تذكرت شيئاً أخيراً

أرجوكم ألّا تخبروه أنّه مات

لأنه لا يعرفُ ذلك بعد..

التقدمي

التقدمي العدد 225 ـ نوفمبر 2026 السنة 24 SDPA 499

رئيس التحرير: د.حسن مدن ـ مدير التحرير : فاضل الحليبي. سكرتير التحرير: عيسى الدرازي

المواد التي تحمل أسماء كتابها لا تعبر بالضرورة عن رأي المنبر التقدمي ص. ب: 21461 ت: 17780007 Altaqadomi.bh@gmail.com